

كنمة العدد :

هل الثقافة ممكنة ؟

بقلم : عمر عبد الله الكتراري

إنّ الحديث عن الثقافة بصيغة المفرد فيه بعض من القصر والتقصير .

ذلك أنّنا في عصر يتسم بالتخصّص بل بدقّة التخصّص ممّا يجعل المفرد إجمالاً أميل إلى التركيب والضيائية والمتعدّد أقرب إلى التحليل والتجزئة المفضية إلى الوضوح.

من هذا المنظور تبدو الثقافة ثقافات. فنحن نتحدّث على سبيل الذكر لا الحصر عن الثقافة الأدبية والثقافة التربوية والثقافة الصحيّة والثقافة المروية والثقافة الرقمية والثقافة الاستهلاكية والثقافة القانونية وما إلى ذلك من ضروب التخصّصات.

وإنّك لتجد كلّ حقْل من هذه الحقول يدعوك إليه ويلجّ في الدّعوة بل ويغريك بختمية الانصراف إليه دون سواء على أنه صاحب الأولوية في الاهتمام والنظر (الثقافة الرقمية مثالا).

وفي ظلّ التعقيد الذي يسم الحياة العصرية وما تستوجبه من ضرورة التكيف لضمان التواصل والاستمرارية كان لزاماً على الفرد أن يأخذ من كلّ شيء بطرف وأن يلامس بصورة أو بأخرى كلّ

الأوجه التي تعنيه فيفتح على ضروب الثقافات التي ذكرنا وغيرها وهو ما يجعل السعي للثقافة أمراً حتمياً لحيويته لا اختيارياً يمكن تجاوزه والتغاضي عنه.

فهل يكون ذلك ممكناً والمجالات متعددة والتنازع على أشده بين الحقول والاهتمامات؟

أهو المأزق إذن ؟

وإذا كان هذا الطرح وجيهاً فهل يقودنا إلى "تعليق الحكم" (Epoke) كما دعت إليه اتجاهات فلسفية إغريقية سالفة (الرييون) أم إلى تدبر مقارنة أكثر ديناميكية و "لا مأوقية" إن جازت العبارة بحيث تكون أقرب إلى ما جبل عليه الإنسان من سعي لتجاوز الذات وتوق إلى المعرفة والتعرف؟

إن الثقافة ليست محمولا ولا توقفاً بل هي نشاط وحركة تتمايز بل تسمو عن الإمتهان.

فالمثقف لا يمكن أن يكون محترفاً للثقافة بأبعادها المختلفة ومضامينها المتنوعة بل هو متأثر بها ومؤثر فيها وهو بذلك مساهم متواضع في إثراء التراث الإنساني إن بالتشرب والتفاعل أو بالإثراء والإضافة.

التاريخ الوراثي لشمال إفريقيا

بقلم : الدكتور لطفي الشاربي

تمهيد :

يعتبر الإنسان في المنظومة الانثروبولوجية مشغلا أرق الباحثين منذ فجر القرن الماضي، وذلك لما شهده من تطور على كثير من الأصعدة. فقد اثبتت دراسة الحفريات الأركيولوجية في مختلف قارات العالم، إجمالا أن الإنسان المعاصر هو سليل عشائر بدائية لهومواركتس (Homo erectus) في إفريقيا الشرقية، ثم هاجر بعد ذلك ليغزو بقية قارات العالم فبدأ بالجنوب الغربي لآسيا وأستراليا ثم أوروبا وسيبيريا وبعد ذلك القارة الأمريكية وحديثا جزر المحيط الهادي.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

المعطيات الانثروبولوجية لشمال إفريقيا :

يعتبر استيطان شمال إفريقيا معاصرا لأوروبا ويعود ذلك إلى أكثر من أربعين ألف سنة حيث الحضارة العتيرية المتواجدة بالمغرب الأقصى. أما الحضارة الايبروموريسية ومؤسسها "إنسان مشتي العربي" فتعود إلى أكثر من 20 ألف سنة وتشابه مع نظيرتها في أيبيريا حيث مؤسسها "إنسان كرومانيون"، وفي تونس توجد بقايا الحضارة الايبروموريسية بموقع سيدي زين في الكاف.

تأتي بعد ذلك الحضارة القبضية وصانعها "إنسان ما قبل المتوسطي" ونذكر أن هذه الحلقة التطورية تحمل ميزات جديدة، حيث أن الإنسان

القبصي ارتقى بحسه الفني فكان يرسم على بيض النعام، أما غذاؤه فكان أساسا من الحلزون كما يدلّ على ذلك تراكم قشوره في الرماديات وهي حضارة بعيدة عن السواحل - حضارة قاريّة - .

ويعتبر أصل الحضارة نقطة اختلاف قائم بين العلماء حيث يذهب البعض إلى القول بأن الحضارة القبصية هي من الشرق الأدنى لتشابه أدائها مع الحضارة الناطقية بفلسطين، ويقول البعض الآخر بأنها ناتجة عن تطور محلي لللايموموريسية وبالتالي فإن القبصي هو سليل إنسان مشقّي العربي. أمّا الحضارة البربرية فقد اكتسحت كامل شمال إفريقيا خلال العصر الحجري الحديث، ويعتبر البربر السكان الأصليين لهذه الرقعة من العالم.

من هم البربر وماهي علاقتهم بساقيهم؟
يطلق مصطلح البربر على السكان الأصليين لشمال إفريقيا الذين يعرفون أيضا "بالامازيغ" وتعني كلمة "أمازيغي" الإنسان الحر.

البربر أو الأمازيغ مجموعة أثنية غير متجانسة ويزر التنوع أساسا في الجانب البيولوجي واللغوي إذ توجد عدة أنماط بيولوجية وعدة لهجات تنتمي إلى العائلة الأفروآسيوية. يعود هذا التمايز أساسا إلى انعزال القبائل البربرية عن بعضها البعض لصعوبة تضاريس هذا الجزء من العالم خلال العصور القديمة (5 آلاف سنة قبل التاريخ).

أما علاقة البربر بساقيهم ، فإن الفرصة القائمة هي أن هذه المجموعة قد تكون سليفة الإنسان القبصي، وهذا لا ينفي مساهمة العنصر الشبيه صحراوي (حيث أثبتت ذلك الحفريات في الصحراء)، كما يذهب ابن

خلدون في المقدمة إلى القول بأن البربر هم سلاء أصول عربية، يمنية وكنعانية.

ماذا حل بالبربر منذ فجر التاريخ :

لقد تتالت الحضارات على شمال إفريقيا منذ فجر التاريخ إذ استقرّ الفينيقيون والرومان والمندال والبيزنطيون الذين تركوا آثار حضاراتهم إلى الآن، أما تأثير العرب فيتجلى في الفتح الإسلامي الذي أدى إلى أسلمة معظم سكان المنطقة وأيضاً تعريب لغتهم وكان لغزو بنو هلال وبنو سليم، أثر كبير، إذ سكن البربر الجبال هروبا من بطشهم فشئت شملهم.

ويعتبر شمال إفريقيا أيضاً الملجأ الأساسي للوافدين من إيبيريا بعد الاسترجاع المسيحي لها بسقوط غرناطة آخر غمارة إسلامية بالأندلس (1492)، حيث استوطن تونس حوالي 80 ألفاً وهو عدد كبير إذا قارناه بعدد السكان في تلك الفترة. يتكون سكان شمال إفريقيا حالياً من بعض المجموعات الناطقة بلغات البربر وهي متفاوتة بين دول المنطقة، إذ لا يتجاوز عدد البربر بتونس 1% من السكان إجمالاً بينما يمثلون 40% من المغرب الأقصى وأقل من ذلك في الجزائر وليبيا. فهل تتطابق المعطيات الجينية مع المعطيات التاريخية لشمال إفريقيا؟ وهل في هذه الجينات ما يدل على علاقة شمال إفريقيا بالمناطق الجغرافية الأخرى؟

الإطار الجيني للعالم :

لقد درست المجموعات السكانية وراثياً من طرف باحثين يهتمون

بالانثروبولوجيا الوراثية وبينت حلّ الأبحاث أن القارة الإفريقية تضم تنوعاً وراثياً شديداً وبالتالي تمثل المنطقة الأم لنشأة الإنسان.

هل هنالك في التنوع الجيني ما يميز المجموعات السكانية للعالم ؟

إن استيطان قارات العالم من طرف الإنسان المعاصر كان تدريجياً. ونذكر أن الجينوم البشري يتطور باستمرار وذلك بحدوث طفرات جينية جديدة، هذه الأخيرة تحدث بصورة فحّية ويتغير تواترها من منطقة إلى أخرى في الجينوم ويعود ذلك لعدة أسباب يطول شرحها فقط هنا نقول بأن الطفرة الجينية تحدث بتواتر ضعيف وبالتالي فإننا لا نسلم بحدوث نفس الطفرة الجينية في مناطق عدة من العالم وإنما تحدث في منطقة ما وتنتقل إلى مناطق أخرى مع هجرة الإنسان الحامل لها. وهذا لا يكون يسيراً إلا إذا ارتفع عدد حاملها في المنطقة الأم.

تنتمي الطفرات الجينية في الجينوم المتقدري إلى وحدات تطورية تميز المناطق الجغرافية والإثنية بالعالم. هذه الوحدات هي مجموعة طفرات جينية مرتبطة في حدوثها ببعضها، ويزداد تواترها وتنوعها في المنطقة الأم. كمثال لذلك نذكر أن الطفرات المتقدريّة تنتمي إلى وحدات كبرى شبه صحراوية (L1,L2,L3,L4,L5,L6,M1) ، أوروآسيوية (H,V,R,U,I,T,I,X,W) وشمال إفريقية (U6) .

سنعتمد في هذه المداخل على الوحدات التطورية للمتقدرة لوصف الإطار الجيني لشمال إفريقيا.

التاريخ الجيني لسكان لشمال إفريقيا:

لقد ركزت الدراسات الوراثية في شمال إفريقيا على العشائر البربرية والعربية بالمغرب الأقصى، المزاب بالجزائر والمجموعات الناطقة بالشّلحة في الجنوب التونسي (بربر حربة، شني والدويرات، مطماطة والسند) وحديثا المجموعات البربرية والعربية والأندلسية بالشمال التونسي وقد تمت قراءة الشفرة شديدة التغير لـ DNA المتقدرة وتمّ تحديد الأصول الموافقة لها.

ماذا يميز شمال إفريقيا جينيا ؟

إن شمال إفريقيا به تنوع جيني عالي، كما أنه يحتوي على أغلب الوحدات التطورية المتواجدة في القارات الأخرى، مما يوحي بقدّم استيطان المنطقة من ناحية ووجود تأثيرات خارجية من مناطق عدّة وهذا لا ينفي وجود أصول خاصة بشمال إفريقيا وهو ما يدل على وجود خصائص بيولوجية للمنطقة.

الأصول المنتمية إلى الوحدات التطورية U6 :

توجد الأصول المنتمية إلى U6 أساسا بشمال إفريقيا وقد تم وصفها بنسبة عالية (17%) في منطقة المزاب بالجزائر تليها موريتانيا بنسبة 17 % كما ترتفع هذه النسبة أيضا بالمغرب الأقصى، أما بتونس فهي لا تتجاوز 4% إجمالا. توجد الأصول U6a في شمال إفريقيا، أما في جزر الكناري فإننا نجد U6b، هذان الأصلان هما متفرعان من الأصل الجد U6 خارج شمال إفريقيا وأساسا في إيبيريا ناتج عن تواجد بربري في هذه المناطق. إذن فهناك أصولا شمال افريقية تتمثل أساسا في وحدات U6 قد يعود تواجدها إلى العهد القبصي أو ما قبله.

الأصول الأوروآسوية :

هي الأصول الأكثر تواترا في شمال إفريقيا ولأهداف منهجية سأقسمها إلى قسمين :

الأصول الأوروبية التي توجد بنسبة عالية في أوروبا وهي ذات جذور شرق أوسطية وتمثل في وحدات R,H,V,HV,U,H ...

تعتبر الأصول المنتمة إلى H الأكثر انتشارا وتواترا في أوروبا حيث تبلغ نسبتها إجمالا 50% من العدد الجملي وتليها الأصول الأخرى المذكورة. هذه الأصول نجدها بنسبة مرتفعة في شمال إفريقيا تقارب في بعض الأحيان تلك المتواجدة في أوروبا. يرجع بعض الباحثين في مجال الانثروبولوجيا الوراثية هذا التقارب بين صفتي المتوسط إلى آخر فترة جليدية حيث انتشر بعدها الإنسان من ملجئه بأيبيريا ليعمر أوروبا وشمال إفريقيا.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الأصول المنتمة إلى الشرق الأوسط والأدنى :

وهي أساسا الأصول J و T وبدرجة أقل W,X,K,U8... تعتبر الأصول J و T ذات تواتر عالي نسبيا في شمال إفريقيا ويفسر البعض ذلك بأن الإنسان القبصي القادم من الشرق الأدنى قد يكون حاملا لهذه الأصول. كما يمكن تفسير ذلك بقدم الإنسان الحاذق للفلاحة منذ 10000 سنة من الشرق الأوسط وحديث لفترة الفتح الإسلامي وأيضا لغزو بنو هلال وبنو سليم في بداية القرن الحادي عشر.

الأصول الشبه صحراوية :

وهي أساسا الأصول المنتمة لـ L وهي متواجدة بنسبة هامة في

شمال إفريقيا تصل إجمالاً إلى 25% ويرتفع في بعض العشائر ليلامس نسبة 50% (كسرى بشمال البلاد التونسية) . كما أن هذه الأصول الشبه صحراوية جد متنوعة بهذه المنطقة ويعود تواجدها إلى نهاية العصر الحجري القديم حينما جفت الصحراء واضطر الإنسان للصعود إلى شمال إفريقيا ويرجع البعض الآخر وجود الأصول شبه الصحراوية إلى ما قبل هذا التاريخ. أما من وجهة نظر تطورية فبعض هذه الأصول الشبه صحراوية تطورت محلياً وأصبحت مميزة لشمال إفريقيا.

لقد أثبتت دراستنا لشمال إفريقيا أنها من أثرى المناطق في العالم من حيث التنوع الجيني وأثبتت دراسة الوحدات التطورية المتقدرة أن هذه المنطقة تضم أصولاً شمال إفريقية وأخرى شبه صحراوية وأخرى أوروآسيوية كما هو مبين بالخريطة المصاحبة. كما أن دراسة العشائر البربرية والعربية بشمال إفريقيا إجمالاً أثبتت أن كل عشيرة لها بنيتها الخاصة ويعود ذلك أساساً إلى عوامل ثقافية (العادات والتقاليد) ترفض الزواج من خارج القبائل. هذا ما يجعل شمال إفريقيا مقسم إلى مجتمعات صغيرة لكل خصائصها الجينية وبرز ذلك جلياً في العشائر التونسية حيث الطابع الفسيفسائي الجيني جداً وقد بينا ذلك في العدد 169 من مجلة الإتحاف في دراسة الأندلسيين التونسيين.

خلاصة :

تثبت هذه الدراسة أن شمال إفريقيا تضم أصولاً جينياً جد متنوعة وهذا دليل قاطع على أن البربر هي مجموعة أثنية متنوعة منذ البداية. كما أن التاريخ الوراثي يحمل بصمات حضارات عديدة تنالت

وتنافست فوق هذه الأرض الخصبة وهو ما دلت عليه مخلفاتها المعمارية. إن هذه الدراسات المنتمة إلى الانثروبولوجيا الوراثية لها تطبيقات عدة ففي المجال الطبي تساعد مثل هذه الدراسات على فهم أنماط وراثية الأمراض متعددة الجينات كالسكري والسرطان بأنواعه والأمراض العصبية وغيرها. ومثلا تسعى الأستاذة آمال القعيد مديرة مخبر الوراثة والمناعة والأمراض البشرية في تونس جاهدة لدراسة العشائر التونسية من الجنوب إلى الشمال وقد تمكنت بمعية فريق بحثها من وضع قاعدة معلومات جينية للبلاد التونسية تستغل في مجال دراسة الأمراض الوراثية بوطننا.

أشرف على هذه المداخلة الأستاذة الجامعية آمال بن عمار القعيد مديرة قسم البيولوجيا بكلية العلوم بتونس ورئيسة مخبر علم الوراثة والمناعة والأمراض البشرية.

كما ساهم في هذا العمل الأساتذة المساعدون :

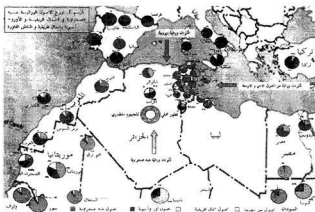
- بسمة يعقوبي وسلاوي
 - حسين خوجة الخليل
 - والباحثة صباح فريجي
- أهدي هذا العمل لأستاذي الجليل محمد المراكشي رئيس مخبر علم الوراثة المناعة والبيوتكنولوجيا بكلية العلوم بتونس .
- المراجع :

CHERNI,L,YACOUBI-
LOUESLATI,B,PEREIRA,L,ALVES,C,AMORIM,A,BEN
AMMAR-ELGAAIED A.2005 Female gene pools comparison

of Berber and Arab neighbouring communities in Central Tunisia-the microstructure of mtDNA variation in North Africa. *Human biology*, 77:61-70.

M., COMAS D. & BEN AMMAR EL GAAIED A. (2004a) Mitochondrial DNA Heterogeneity in Tunisian Berbers *Ann Hum Genet* 68: 222-233.

- HACHID M. (2000) Les premiers Berbères : Entre Méditerranée, Tassili et Nil. *EduSud*.
- PLAZA S., CALAFELL F., HELAL A., BOUZERNA N., LEFRANC G., BERTRANPETIT J., COMAS D. (2003) Joining the pillars of Hercules: mtDNA sequences show multidirectional gene flow in the western Mediterranean. *Ann Hum Genet* 67:312-328.
- RANDO J. C., PINTO F., GONZALEZ. A.M., HERNANDEZ M., LARRUGA J.M., CABRERA V.M. ET AL. (1998) Mitochondrial DNA analysis of northwest African populations reveals genetic exchanges with European, near-eastern, and sub-Saharan populations. *Ann Hum Genet* 62: 531-550.
- YACOUBI LOUESLATI B., CHERNI L., KHODJET-ELKHIL H., ENNAFAA H., PEREIRA L., AMORIM A., BEN AYED F. ELGAAIED A. (2006) Islands Inside an Island: Reproductive Isolates on Jerba Island. *American journal of human biology*, 18:149-153



أسرار التركيبة الكيميائية لمياه جبل السرج - برقو، الجوفية

الباحث: أحمد المرزوقي

مقدمة

يكتسي الحديث عن الماء في القرن الواحد والعشرين أهمية بالغة نظرا لضرورته لبقاء الكائنات الحية على قيد الحياة. إذ يشكل الماء في عالم الأحياء أحيانا، أكثر من 95 % من كتلتها الإجمالية، أما فزيولوجيا، فيعتبر الماء الوسط الذي تتم فيه كل التفاعلات الكيميائية.

وعلى المستوى العالمي، تشكو دول نقصا حادا في هذه المادة وليس لها موارد لتغطية هذا النقص وبالمقابل تملك دول أخرى ما يفي بحاجياتها من المياه لكن على المدى القصير فحسب، نظرا لعدم تجدد هذه المياه وسوء التصرف في استغلالها. والقاسم المشترك بين جميع الدول العربية، هو ندرة مواردها المائية وارتفاع تكاليف استغلالها وذلك يعود للنمو السكاني السريع وارتفاع الطلب في الماء في القطاع الصناعي والفلاحي وهو ما يتسبب في نضوب المخزون المائي الذي لا يتحدد بسبب التحولات المناخية الكبرى. وأمام هذا الخطر الدائم، صار من الضروري استخدام المياه الحبيسة التي توجد في شقوق وفجوات الجبال الصخرية.

بأنواعها، وكأن الصخور على قسوتها تختزن لنا الحياة وأحد أسباب النجاة والممدد، إذ قال الله عز وجل في محكم تنزيله " وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء " (البقرة، 74).

يعتبر جبل السرج -برقو من أهم هذه الخزانات الطبيعية لمياه الأمطار التي يمكن أن تنفذ إلى باطن الطبقات الصخرية، فتكون قنوات تحت أرضية يمر فيها الماء حسب الانحدار من مكان إلى آخر ومن طبقة جيولوجية إلى أخرى، وخلال هذه المسيرة، تتأثر التركيبة الكيميائية لهذه المياه نظرا لدورها الفعال في إذابة معادن الصخور التي تحتك بها.

لهذا الغرض، أردت من خلال هذا المبحث الصغير أن أعطي فكرة حول التركيبة الكيميائية وتنوعها لمياه جبل السرج -برقو الباطنية تحديدا المياه المنحسبة في تكوينه "السراج" التي تم تعريفها في العدد 171 من مجلة الإتحاف.

1) - التركيبة الكيميائية للماء وأهميته :

يعتبر الماء من المركبات الكيميائية الأكثر وضوحا وبساطة، فهباءة الماء مركبة من ذرتي الهيدروجين (H) وذرة واحدة من الأكسجين (O)، على الرغم من أن الهيدروجين غاز مشتعل والأكسجين غاز يساعد على الالتهاب، إلا أنه عند اتحاد ذرتي الهيدروجين وذرة الأكسجين ينتج الماء (H_2O) الذي يطفى النار (الصحاري، كتاب الماء، ط1، 1997).

فالماء هو السائل الذي يغطي ثلثي سطح المعمورة، فهو ليس كغيره من السوائل، فقد بين علماء الكيمياء والهيدروجيولوجيا، أن الصفات والخواص الفريدة للماء

تتمثل في الروابط الكيميائية التي تشكل هبائه والتي تعرف بحواجز الهيدروجين. عند التفاعل بين ذرات الهيدروجين (H) والأكسجين (O) ينشأ نوع من الحواجز لحماية الجزيئات، لذلك يعتبر الماء (H_2O) هو المذيب الأكثر شيوعاً في عالم المذيبات الكيميائية، فهو يتحرك باستمرار وتسمى حركته حول العالم بالدورة الهيدروجيولوجية حيث يتم فيها التبخر والترسب والتكثيف والأمطار والصرف والتجمع فيتغير شكل الماء في كل مرة، فهو السائل الوحيد الذي كثافته عند تحمده أقل منها في حالته السائلة، لذلك تبقى الجبال الجليدية تطفو فوق الماء ولا تغوص في الأعماق حتى يتسنى لها الذوبان خلال فصل الربيع.

للماء عدة فوائد صحية فقد جاء الماء في القرآن الكريم في نيف وستين موضعاً، ولا نعلم شيئاً يخلو من الماء إلا ما يضاد جوهره وطبيعته (الصحاري، كتاب الماء، ط1، 1997)، فهو يعدل في المزاج والقلب ويلين الطبيعة ويزيد في الباه، فهو نافع لمن شرب دواء مسهلاً فأقرط معه ولمن به التهاب أو حمى أو غثيان أو فواق أو رائحة في الفم ويلائم المعدة ويقويها ويدفع الغشي الحار والبارد ويدبر البول... لقد جعل الله من الماء كل شيء حي.

بالرغم من البحوث المتواصلة التي أجريت على المياه من قبل العلماء،

فأنه لم يتم التوصل بعد إلى فهم كيف يعمل الماء في كل وقت وفي كل بنية.

(2) - خصائص التركيبة الكيميائية لمياه جبل السرج-برقو:

كانت بداية البحث بعملية جمع لعينات من المياه الجوفية التي تنساب من فحوات وشقوق الطبقة الصخرية السطحية لجبلي السرج وبرقو وذلك من العيون الموسمية أو دائمة السيالان وكذلك من الآبار العميقة التي تتصل بهذه المياه.

يمثل الجدول التالي قائمة نقاط المياه التي أخذت منها عينات:

جبل برقو	جبل السرج
- عين بوسعدية 1 و 2- عين بلوطة- عين الغبا- عين الحمام- عين الشنة- عين الخناتيش- عين سانية الجبل- عين مزاة- عين الفوار- عين الدردارة- عين زيتونة- عين سيدي مطير- عين الغنאי- عين بوعبانة- عين سيدي بولمان- عين الصفصافة- عين قصر لمسة- عين تار فرنة- بتر صدقة 1 و 3 و 6 و 8- بتر فوار السنوسي- بتر هنشير باز.	- عين الفقيرة- عين الذهب 1 و 2- عين السكر- عين الزريبة- عين القليعة- عين الطراف- عين الفوقانية- عين بوصبيون- بتر عين سكرة- بتر سيدي حمادة.

و بعد وضعها في قوارير أعدت لهذا الغرض، تم نقلها إلى مخبر التحاليل الكيميائية للمياه بتونس التابع للإدارة العامة للموارد المائية، حيث تم تحليل العينات من المياه واستخراج تركيبها الكيميائية وخصائصها الفيزيائية وتشمل : الدالة الحامضية (pH)، درجة الحرارة (C°)، التوصيل الكهربائي (μ / cm)، ثم نسبة الأملاح المعدنية الكبرى الذائبة وذلك بحساب الملغرام في المتر الواحد (mg / l) وهي المغنيزيوم (Mg)، الصوديوم (Na)، الكالسيوم (Ca)، البوتاسيوم (K)، السيلفات (SO_4)، الكلور (Cl)، البيكربونات (HCO_3) والنترات (NO_3) ثم قمنا بتحويل هذه النتائج الرقمية إلى رسوم بيانية ومخططات ثلاثية مثل مخطط "بيار" الثلاثي الذي من خلاله يمكن التعرف على سبر المياه النابعة من صخور جبل السرج - برفو (الرسم عدد 1).

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

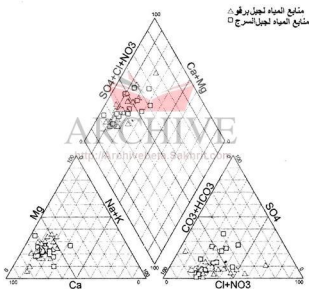
2-1- عسرة المياه :

يبين لنا المخطط الثلاثي في الرسم 1 أن أغلبية المنابع سواء كانت لجبل السرج أو برفو مجتمعة في نفس الرقعة تقريبا مما يدل على صلة القرابة بين هذه المياه وهي ألها ثمر وتنبع من نفس الطبقة الجيولوجية تقريبا المتكونة من الصخور الكلسية والتي تعرف بتكوينة "السرج" التي يصل معدل سمكها إلى 200م.

كما يبرز لنا هذا المخطط سبر هذه المياه الذي يتراوح بين السير البيكربوناتي-كلسي مغنيزي والسير كلوريري-سلفاتي--كلسي مغنيزي. فهو في كل الحالات يعتبر ماء عسرو.و عسرة الماء هي ناتجة

عن وجود عنصرين بصيغتهما الأيونية في الماء بشكل رئيسي وهما الكالسيوم (Ca^{2+}) والمغنيزيوم (Mg^{2+})، وعند العامة ترتبط عسرة الماء غالباً بقدرة الصابون على الرغوة في مصدر معين للماء حيث أن الماء العسر يعطي رغوة أقل. فالمناطق الغنية بالكلس عادة ما تكون مياهها عالية العسرة.

مخطط بيهار الثلاثي لمياه جبل السرج-برقو



الرسم 1: مخطط ثلاثي لسير مياه جبل السرج-برقو

تعتبر مياه الأمطار هي أصل المياه الجوفية في الطبقات الصخرية المختلفة والمتعارف عليه أن مياه الأمطار هي مياه نقية ولكن قد تحتوي على بعض المعادن المذابة وجسيمات من التراب وغازات مذابة مثل ثاني

أكسيد الكربون (CO_2) وثاني أكسيد الكبريت (MGO)، كما في الأمطار الحمضي

عندما تنفذ مياه الأمطار عبر فحوات وشقوق الطبقات الصخرية ستأثر بها وتتفاعل مع المعادن المكونة لها وتقوم بإذابة الكيريتات (Mg) والكلوريدات (Cl) وبيكربونات الصوديوم ($NaCO_3$) وبيكربونات الكالسيوم ($CaCO_3$) والمغزيوم (Mg) مما يؤثر على تركيبة المياه الجوفية ويغير في سرعتها، فإن كانت نسبة هذه المعادن حيوية وموافقة للمعايير الدولية للمياه المعدنية، فيمكن القول أن هذه المياه، معدنية أي يمكن تغليبها فتكون صالحة في العديد من المجالات الطبية، وهذا ينطبق مع مياه جبل السرج-برقو التي تم تغليبها في موقعين، الأول في منطقة عين "سكره" (السفح الشمالي لجبل السرج) والثاني في منطقة "قصر لمسة" (السفح الجنوبي لجبل برقو) والموقع الثالث في منطقة "صدقة" (جزء من جبل برقو قد خسف منذ آلاف السنين).

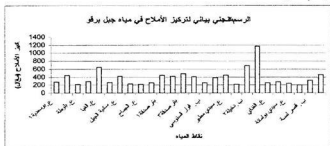
وعندما تكون هذه القياسات قريبة من المعايير المتفقة عليها فتوظف في المجال الفلاحي أو الصناعي، كما تبينه المنحنيات البيانية الموافقة لنسبة الأملاح في مياه جبل السرج وبرقو، إذ لا يتجاوز تركيز هذه الأملاح 0.4 غ/ل، خاصة في مياه "عين بوسعدية"، عين "الجماح"، عين "بلوطة" و"عين قصر لمسة" بجبل برقو و"عين الفقيرة"، "عين الذهب"، "عين القليعة" و"عين الزريبة" بجبل السرج، ويعود ذلك إلى سرعة تدفق وخروج مياه الأمطار النافذة عبر الطبقات الصخرية وسرعة تفجرها من المنابع وبالتالي عدم تأثرها واحتكاكها بمعادن الصخور

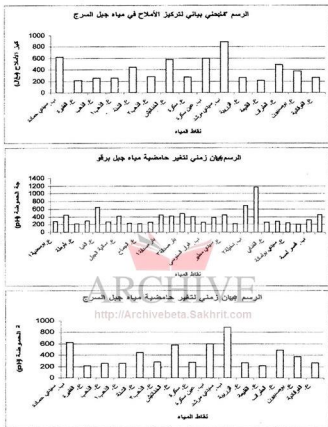
الكلسية. إن الماء المحيط بنا هو الماء النموذجي بالإضافة إلى مواد أخرى حيث يذيب الماء من المواد التي هي على تماس معه ويمتص الغازات الموجودة في الهواء. (الفتلاوي، 2007).

2-2- حامضية المياه :

يصبح الماء حامضيا عندما يمتص ثاني أكسيد الكربون (CO_2) الذي تبلغ نسبته في الهواء 0.03 %، وهو ناتج عن تنفس النباتات والحيوانات ومن عمليات التحلل في التربة والماء. وعندما يتكون هذا الاتحاد، نتحصل على محلولاً ضعيفاً من حامض الكربونيك فيتفاعل مع الكلس ويكون كربونات الكالسيوم ($CaCO_3$) بتبخّر الماء وهو راسب أبيض اللون والمكون الأساسي للصواعد والتنازل في الكهوف. بامتصاصه لثاني أكسيد الكربون، يصبح الماء حامضاً ضعيفاً يلعب دوراً هاماً في إذابة بقية العناصر المعدنية الأخرى المولقة للصخور ونقلها إلى أماكن أخرى.

تعتبر مياه "عين بوسعدية" بجبل برقوق ومياه "عين الذهب" و"الشنة" بجبل السرج الأكثر حموضة مقارنة ببقية المنابع المائية والآبار حسب ما يبينه الرسم 4 و 5.





الخاتمة:

يعتبر جبل السرج-برقوق من أهم الخزانات الطبيعية للمياه الجوفية بالبلاد التونسية فهو يحسح ما يقارب 400 كم²، ويتكون سيره من طبقة كلسية يعادل سمكها 200م، غنية بالانكسارات والفوالق والتصدعات التي أصبحت خزانا مناسباً لمياه الأمطار التي تنفذ عبرها. هذه المياه،

عندما تحتك بالصخور التي تحتزها ستعمل على إذابة ونقل معادنها. بتفجر العيون وبخفر الآبار العميقة، نتحصل على مياه في معظمها معدنية نظرا لتركيبها الكيميائية والمعدنية الممتازة حيث أن معظم المياه تتراوح نسبة أملاحها المعدنية بين 0.2 و 0.4 غ/ل.

مع تزايد النمو السكاني، أصبحت ندرة المياه قضية وطنية وإقليمية، فالمناخ الشبه جاف الذي يتميز به المغرب العربي وكذلك التغيرات المناخية الفحشية بارتفاع حرارة الجو واختلاف كمية وتوقيتات سقوط الأمطار، أدى إلى تفاقم هذه الظاهرة. ونظرا للحاجة الماسة للماء فلا بد من تكثيف الدراسات الهيدروجيولوجية الإقليمية والوطنية للوصول إلى تنظيم شبكة الموارد المائية وتحسين البيانات وكمية ونوعية المياه القابلة للتحدد من الموارد المائية السطحية والجوفية. وبمضاعفة شبكات الأرصاد للأهوار، تعمل البلاد التونسية على تطوير شبكتها الهيدروجيولوجية ولو بخطى بطيئة، بغية الارتقاء بتخطيط وتنظيم شبكة توزيع المياه وضمانا لحق الأجيال القادمة من المياه المعدنية التونسية.

قائمة المراجع :

- * الصحاري أبو محمد عبد الله بن محمد، كتاب الماء، أول معجم طبي لغوي في التاريخ، تحقيق هادي حسين حمودة، الجزء 1، الطبعة 1، 1997.
- * بيتر روجرز وبيتر ليدون، المياه في العالم العربي، آفاق واحتمالات مستقبلية، 1994، ترجمة لشوقي جلال، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية.
- * الفتلاوي عماد، ماء الشرب في تركيبته الكيميائية عسرة وحامضية، حزيران 2007، صحيفة الصباح العراقية.

المكان : البنية والدلالة

دراسة في المتن الروائي البحرينيّ

بقلم : صابر الحباشة

توطئة :

يتخذ الفضاء الحكائي منزلة هامة في البناء السرديّ عامة، والروايات خاصة، باعتباره لبنة أساسية تشمل الإطار الذي تدور فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات. ومن ثمة، يكون إسهام الفضاء في بناء الخير وفي تشكيل الخطاب إسهاما لافتا، فقد لا يكون مجرد ظرف حاوٍ أو إطار جاف لا مبهمة له ولا دخل في تطوّر القصّ أو تأويل الأحداث، بل قد يتجاوز الدور البنائيّ الأساسيّ إلى أدوار وظيفية يمكن استخلاصها بجلاء عبر استقراء المتون الحكائية التي ترد فيها الفضاءات المكانية موظفة، بل فاعلة في التعبير عن الرؤية الفنية الجمالية للمؤلف ولزاوية نظر الراوي، باندراج الفضاء في قلب الحدث القصصيّ أو الموقف الدراميّ الذي تعيشه الشخصية أو ينحته الراوي. بمعنى أن الفضاء قد يتراوح بين الحضور الفعال المؤسس لواقعية الأحداث القصصية والانتساب على الأبعاد التأويلية لدلالات الرواية بمختلف ألوانها المحتملة ذات الظلال الاجتماعية والسياسية والأخلاقية عموما.

ويمكن استقراء المتون الحكائية اعتمادا على زوايا حضور المكان باعتباره مسهما في بناء الكتابة السردية. وإن تعلق حضور المكان في

العادة بنمط الكتابة الوصفي، ذلك أن الفضاء -عادة ما يكون جامدا عاديا (بخلاف الأدب العجائبي مثلا) فيكون التناول الأسلوبى الموازي لاندراج المكان في الخير متعلقا بالوصف بمختلف وظائفه التسجيلية والتصويرية والتريضية.

دراسة المكان : المنهج والمذونة :

وهذا ما أقدم عليه الباحث فهد حسين في رسالته "المكان في الرواية البحرينية، دراسة نقدية" (فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، 2003) حيث عالج حضور المكان في الرواية البحرينية انطلاقا من دراسة ثلاثة أعمال روائية:

- الجذوة لمحمد عبد الملك (1981)
- الحصار لفوزية رشيد (1983)
- أغنية الماء والنار العلوي عبد الله خليفة (1988)

وقد قام الباحث بانتقاء مدوّنته بعناية ناظرا بالأساس إلى تحديد الفترة الزمنية لصدور هذه الروايات، إذ أنّها ظهرت جميعها في عقد الثمانينات، وعلل ذلك بأنّ "هذه الفترة تمثل النشأة الحقيقية للرواية البحرينية" (ص13).

كما علل سبب اختياره مبحث المكان في الرواية فمما قاله في ذلك "وأما عن سبب اختياري عنصر المكان، فلأنني أرى المكان أحد العناصر الضرورية والمهمّة في البناء الروائي، سواء أكان هذا البناء الروائي ناقلا الواقع المعيش أم أتيا عبر المتخيل الذهني للروائي نفسه" (ص13). وأشار

الباحث في المقدمة إلى أن اختيار هذه النصوص الروائية الثلاثة تمّ بناءً على ما وجدته فيها "من توافر عنصر المكان أكثر من غيرها سواء أكان هذا المكان هامشياً، مثل البيت في رواية الجذوة أم كان مكاناً رئيساً، مثل السحن في رواية الحصار" (ص16).

ويمكن أن نعتبر هذه الدراسة المنهجية - الأكاديمية قد التزمت بشروط القراءة القراءة المنهجية حيث توخّى الباحث منها استقراياً يقوم على المزاوجة بين الطريقتين التطورية والتزامنية، في معالجة قضايا حضور المكان في الرواية البحرينية.

وقد وضّح فهد حسين في مقدّمة بحثه أهدافه من وراء هذا العمل، ومنها ما ذكره في الصفحة السابعة عشرة:

- 1- محاولة معرفة دور المكان والغاية الفنية له.
- 2- معرفة التحولات التي حوت في المجتمع بعد استخراج النفط وتشديد المصانع وإقامة العمران وتنشيط الاقتصاد.
- 3- معرفة أنواع الأمكنة التي تدل على الرقي الاجتماعي والتطور الاقتصادي أو تلك التي تدل على الانحطاط الاجتماعي والاقتصادي وطريقة حضور هذه الأمكنة في الفن الروائي.

وتشتمل دراسة فهد حسين للمكان في الرواية البحرينية على مقدّمة ومدخل عام وباين يحتوي كلّ واحد منهما على فصلين حيث اهتم في المدخل بتعريف الرواية ومكوناتها ثم ركّز على عنصر المكان باعتباره موضوع البحث الأساسي فيّ مفهومه وأنواعه. ودرس الباحث في

الباب الأول أمكنة الإقامة المفتوحة الموقته وأمكنة السير ووسائل التنقل والمواصلات ، أما الباب الثاني فقد تعلق بالأمكنة المغلقة الاختيارية والإجبارية. فكما يظهر من مخطط هذه الدراسة أن فهد حسين قد ركّز على التقابل بين ضريين من الأمكنة بشكل رئيسي هما الأمكنة المنفتحة والأمكنة المنغلقة، فثنائية الانفتاح والانغلاق هي التي تحكمت في منطق الدراسة. وهذا أمر مفهوم فالمكان بعد من أبعاد إقامة الإنسان في هذا الكون (وهو قسيم الزمان) فلماذا أن يكون على علاقة ظرف ومظروف بينه وبين الإنسان، بشكل محايّد أو أن تنضاف إليه أبعاد رمزية ووجودية ودلالات ثقافية وعرفية... تشكّل نسقا في رؤية الإنسان إلى نفسه وإلى محيطه.

لقد عمد الباحث إلى تتبع حضور المكان في المدونة الروائية المعتمدة في الدراسة تبعا وظيفيا لتتفرقا قام على استقصاء مواضع ورود المكان في تلك الروايات، وانتهج الباحث نهج ترتيب هذه الأمكنة وفق الثنائية المذكورة أعلاه، فضلا عن التفريعات الداخلية، فعلى سبيل المثال في دراسته للأمكنة المنغلقة اهتم بالبيوت، وفي دراسته للبيوت اهتم بالبيوت الإسمتية والبيوت الطينية والبيوت السعفية، مستعرضا مواضع ورودها في الروايات الثلاث ومستخلصا بعض النتائج الوصفية والتحليلية والتأويلية.

واللافت أن مقارنة فهد حسين للمكان كانت تعتمد على الناحية اللغوية حيث كان يسعى إلى تبين "الأبعاد الدلالية والوظيفية التي أراد

النصّ الروائيّ أن يطرحها عبر مفرداته اللغوية" (ص108). فاهتمّ ببنية الجمل (الاسمية والفعلية) وبمفردات النصّ الروائيّ (من ذلك تعليقه على الحرف "قد") (ص112). واستنتج أنّ العلاقة الحميمة بالمكان هي التي تضفي عليه جمالية في التعبير (ص104). فضلا عما يعمد إليه بعض الروائيين من خلخلة المؤلف السائد لبنية بعض الأمكنة (مثل المقهى). بما يراه الروائيّ من صورة ذهنية متخيلة لذلك المكان (ص112). إضافة إلى أنّ محاولات بعض الروائيين كشف بعض الأمكنة (مثل السجن) قد عمدت إلى التقريب بين الصورة الذهنية المرسومة لهذه الأمكنة في الواقع المرجعيّ، وهو ما يدلّل على الالتزام بالواقعية في الكتابة. (ص244).

نتائج البحث وثماره :

وقد ختم الباحث عمله باستخلاص بعض الثمار واستنتاج بعض النتائج منها ما تميّزت به "أفضية هذه النصوص" من "امتزاج الواقع المرير والمحبط بالعاطفة الهادئة حيناً والمتوتبة حيناً آخر" ومن "كشف زيف الواقع المعيش بكلّ جرأة وشجاعة" ومن "إبراز بعض الدلالات الرمزية الكاشفة قبح المجتمع كالتسلط ومعاقرة الخمرة والنساء والفوارق الطبقيّة" فضلا عن المساهمة في الجمالية اللغوية عبر التخلص من الاستطراد والتعليقات التي لا تخدم الحدث ومسيرة العمل السرديّ" (ص 248-249) ويستخلص فهد حسين نتيجة مهمّة تتمثل في أنّ الروائيين الذين درس أعمالهم "كانوا في الأصل كتاب قصة قصيرة" وما انصرفهم إلى كتابة الرواية إلا "لعدم قدرة القصة القصيرة على اكتناه

كل الأبعاد المطلوبة" (ص249). وهذه الملاحظة الفنية تجعلنا نتساءل هل تسرّبت إنشائية الأقصوصة إلى هذه النصوص الروائية، في مستوى تعاطيها للمكان عنصرا فنيا وبعدا واقعيا؟ وهل يختلف تناول المكان في الرواية عن الأقصوصة فقط من الناحية الكمية (الطول والقصر وما يستتبعه من تفصيل وإجمال)؟

ولعلّ من النتائج المهمة التي توصل إليها الباحث ما وقف عليه من ثنائيات توافق في ذكرها الروائيون الثلاثة وهي: البيت والسجن والخيانة والضياع.

كما أشار الباحث في الخاتمة إلى أن الروايات المدروسة "تمثل انطلاقة نوعية في الكتابة الروائية بمنطقة الخليج العربية بعد التجربة الروائية في الكويت التي حظيت بمكانة فنية في الإبداع الروائي العربي (...)" الأمر الذي يحتم علينا نحن أبناء المنطقة أن ننوّل النتائج الأدبيّة أهميّة بالغة بالدرس والتحليل، وخصوصا أن الدراسات النقدية عن أدب منطقة الخليج العربية لا تزال محدودة وقليلة قياسا بالدراسات التي كتبت عن أدب العالم العربي، مثل مصر ولبنان وسوريا والعراق، أو بلدان المغرب العربي على حدّ سواء. (ص252).

ويتسم العمل البحثي الذي أنشأه فهد حسين بالموضوعية ومحاولة التعمق في الاستقصاء وعدم التعسف في استخراج النتائج، فضلا عن استيعابه بشكل جيّد، لمدوّنته التي يشتغل عليها. ولعلّ جماليّات المكان السردية قد تمّ التقاطها بشكل متأنّ ينمّ عن رصانة في تقدير المواقف

ومتابعة دقيقة لتضاريس المكان، ولعلّ العبارة "الشعرية" التي أوردها للشاعر أحمد عجمي على ظهر غلاف الدراسة، تعبّر عن هذا التوغّل في أعماق المكان وعدم الوقوف عند حدود السطح حيث يقول إنّ "المكان كائن لا يستسلم لمهية يسهل رصدها، فهو دائما قادر على ممارسة لعبة التحولات والزوج إلى تظاهرات متنوعة ومتقلبة، فلا يكتفي بأن يكون فضاء فيزيقيا يختصن كائناته، بل يجعل من هذه الكائنات مكانا رحبا لرحلاته التي لا تنتهي"، فالشاعر مغرم بقلب المعادلة دائما، إذ جعل المكان يتخذ من الكائنات مكانا للرحلة ! .

خاتمة :

يعدّ كتاب "المكان في الرواية البحرينية، دراسة نقدية" للباحث فهد حسين دراسة لا غنى للمهتمّ بالسرّد في البحرين عنها، لأنّها دراسة فنية وصفية تطبيقية تهتمّ بعنصر من عناصر الخبر في الرواية وتدرسه دراسة مستفيضة ومنظمة، مما يساعد الباحثين على اعتماد نتائجها ومواصلة مهمّة الدرس لتشمل مدونة أخرى، كالروايات التي صدرت بعد فترة الثمانينات، فمما لا شكّ فيه أنّ السّاحة الروائيّة في البحرين قد عرفت زحما سرديا كبيرا منذ تلك الفترة يظهر عبر تكاثر النصوص وتنامي أعداد الروائيين، وما تطرحه قضية المكان من دلالات تبقى مجالا مكنّزا وفضاء ثريا بالدلالات والمعاني، يتجاوز الحصر الذي تحاول القراءة النقدية تنميطة - وهذا مما يوكل به إليها - ولكنّ الميدع لا يتصرّدف وفق نمط جاهز، بل هو ينسرب في أعطاف متوغّلة في المغامرة القصوى.

كمون الحقيقة الصوفية في اللهجة العامية التونسية

بقلم الباحث : محمد الرزقي (*)

المقدمة : تعتبر اللغة وسيلة التواصل، الأكثر شيوعاً بين البشر، على اختلاف أعراقهم وثقافتهم، فهي البوتقة التي تتجلى فيها أنماط التفكير والإعتقاد والتعبير.

كما أنها الأداة المثلى، القادرة على إخراج مكونات الوجود من دائرة العدم إلى حيز الظهور، عبر إطلاق أسماء تميز هذه المكونات، وكأن الوجود يخرج من رحم الكلمة متدفقاً منساباً، تردده الألسنة، وتحاول أن تتمثله العقول. فما هي حقيقة اللغة ؟ وما هي الأبعاد التي تتضمنها؟

I / اللغة خزّان الوجود :

1) حقيقة اللغة :

إن المتأمل أو الدارس لجلّ لغات العالم، يلاحظ عادة أنها تتكون من ألفاظ، والألفاظ عامة تتركب من دال ومدلول، والدال يمثل جملة الصواتم والحروف، أما المدلول فيعبر عن الصورة الذهنية التي تحملها

(*) - نشرت له ثلاثة كتب وهي : تصوف الحارث المحاسبي - حقيقة الموت عند الصوفية - ظهور

الروح -

هذه الحروف، وإن شئنا شبهنا الدال بالظرف والمدلول بالمظروف، وعلاقة الدال بالمدلول، أو الظرف بالمظروف هي علاقة اعتبارية، لأن تسمية الأشياء يخضع للمواضعة أساساً، ولا يستند لأي قاعدة منطقية. واختلف حول أصل اللغة، هل أن مصدرها سماوي أو إنساني، وقد حمى الوطيس في مناقشة هذه القضية بين علماء الدين من جهة، والفلاسفة وعلماء الاجتماع من الجهة المقابلة.

وعموماً فإن اللهجات العامية، لا تخرج عن التقسيم الأنف الذكر، باعتبار انحدارها عن لغات أم أساسية، إذ تتكون هذه اللهجات من دلالات ومدلولات، إلا أن استعمال هذا الجهاز التواصل لا يخضع لنفس صرامة التقعيد، التي تتميز به اللغات الأساسية، وتستعمل اللغات الأساسية، في جميع أشكال التعبير المتعارف عليه وكان اللغات الأساسية هي اللغات الرسمية، فهي لغة النخبة، ولغة "المناسبات الخاصة"، أما اللهجة العامية، فهي لغة جمهور العامة، وأداة التخاطب اليومي، وإن كانت لا تختلف في شيء عن اللغات الأم، لأنها تحتزل جميع مقومات الهوية، لأي شعب من الشعوب، واللهجة العامية التونسية ليست استثناء في هذا الباب.

فما هي المكونات الثقافية التي تحتزنها اللهجة العامية التونسية ؟ وهل حافظت هذه اللهجة على وضوح مدلولاتها في أذهان المتخاطبين ؟

(2) الخلفية الدينية لبعض الكلمات والأمثلة التونسية :

لقد عرفت البلاد التونسية الإسلام مبكراً، بفضل الحملة التي وجهها

الخليفة عثمان بن عفان، ووضع على رأسها، عبد الله بن أبي سرح ، وهي الحملة المعروفة بإسم " غزوة العبادلة " وكان ذلك سنة 27 هـ / 647 م ، لكن الاوضاع لم تستقر للفتحين الجدد إلا بعد تأسيس عقبة بن نافع الفهري لمدينة القيروان سنة 650/670 م ⁽¹⁾

لذلك فاللغة العربية بصفة عامة، واللهجة العامية على وجه الخصوص، تختزن أحد أهم أبعاد وجود هذا المجتمع، ألا وهو الدين، الذي يشكل القسم الأكبر من وجدان المتخاطبين، باعتباره طريقة حياة، ونمط تفكير، ومنظومة شاملة، لتعليل جلّ المظاهر الكونية والإنسانية على حدّ سواء.

مما جعل هذه المعتقدات الدينية، حاضرة بقوة في الخطاب اليومي لعامة التونسيين، ومثال ذلك عبارة " قصدناه " أو " هيا تقصدوه " والتي تترد كثيرا على الألسنة، كلما أراد أحد الذهاب إلى مكان معين أو انجاز أمر ما، فالهاء المذكورة في هذه العبارة، والتي تكاد تكون مبهمة لمن يسمعها من غير أهل البلاد، هي عند المتخاطبين من العبارات البيّنة والمعلومة علم اليقين، إذ تجمع هذه العبارة كل المعاني الواردة في قوله تعالى " فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ " ⁽²⁾، بمعنى أن الله موجود في كل مكان، وأنه عليه يتوكلون وبه يستعينون، فهي تختزل إيمانا عميقا بالله، الذي يمدّ الإنسان بالحوّل والقوّة ، ويسخر له الأسباب، لذلك إذا تعطلّ قضاء

(1) - تونس عبر التاريخ ، تأليف جماعي ، ص 2/9 ، مركز البحوث والدراسات تونس ، ط1 /

مأرب ما، تجدد التونسي يقول " ما كتبشي "، بمعنى أن هذا الأمر لم يقدره الله أزلا، وهي ترجمة عملية للإيمان بالقضاء والقدر، فالإنسان يتخذ الأسباب، لكن دون الوقوف معها، لأن الأسباب يقف وراءها مسبب الأسباب وهو الله سبحانه وتعالى، وهذا التصور يعكس في حقيقة الأمر، مضمون العقيدة الأشعرية⁽³⁾، والتي ترى أن الله خالق الأفعال والإنسان مكتسب لها، من خلال ما أمده الله به

من الأسباب وهو ما يبين فاعلية مذهب الأشعري في الحياة الاجتماعية، رغم غياب مصادر مذهبه، وقلة المعرفة بأصول الاستدلال عنده.

لكن في المقابل توجد بعض العبارات المستخدمة في الحياة اليومية، والتي اعتراها بعض الغموض وفقدت مدلولاتها في أذهان شريحة واسعة من المجتمع، ومثال ذلك كلمتي "والشفاء والبخاري" والتي يستنجد بها المتكلم لاثبات صدقه، إلا أنه في أغلب الأحيان لا يدرك معناها.

فما الشفاء؟ وما البخاري؟ ولماذا سبقت هاتين العبارتين بوأو؟ في حقيقة الأمر تستعمل هذه العبارة المركبة من كلمتين، في شكل قسم، والوأو التي يستفتح بها الكلام، هي واو القسم، وإن كان القسم من الناحية الشرعية، لا يستقيم إلا إذا كان قسما بالله، لكن لماذا هجر الناس اسم الله ومالوا إلى لفظ الشفاء أو البخاري.

إن كلمة الشفاء تعود في الأصل إلى عنوان أحد الكتب، التي احتفى بها

(3) - نسبة إلى أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة 324 هـ / 936 م، والذي كان معتزليا ثم تحول لنصرة مذهب أهل السنة والجماعة، فصاغ مذهبا جمع فيه كل معتقدات أهل السنة وأبهد بحجج كلامية.

المالكية عامة وسكان شمال إفريقيا على وجه الخصوص، وعنوان الكتاب كاملاً " الشفاء بتعريف حقوق سيدنا المصطفى"، وقد ألفه القاضي عياض⁽¹⁾، وكان هذا الكتاب يقرأ على نطاق واسع في البلاد التونسية، وخاصة في شهر رمضان، وهذه العادة مازالت موجودة إلى يومنا هذا، بجامع الزيتونة وغيره من المساجد الكبرى داخل البلاد، كما كان يدرّس ضمن المقررات الرسمية للتعليم الزيتوني، مما أكسبه شهرة واسعة بين مختلف مكونات المجتمع التونسي.

ويعود ولع الناس بهذا الكتاب إلى فرط محبتهم لرسول الله، والتي تعدّ محبته من أركان الإيمان، زيادة على احتوائه على أصح الأخبار التي تخصه عليه الصلاة والسلام، لذلك عطفوا لفظ الشفاء على البخاري، لأن البخاري من أوائل من جمعوا أصح الأحاديث عن رسول الله، ووضعها في كتابه "الجامع الصحيح"، والمعروف باسم " صحيح البخاري"، والجامع الصحيح نخله صاحبه من بين ست مائة ألف حديث⁽²⁾، وكان يغتسل ويصلي ركعتين قبل أن يضع فيه الحديث، فكان هذا الكتاب غاية في التحري، حتى قيل في شأنه أنه " أصح كتاب بعد القرآن المجيد".⁽³⁾

ولعل الصحة التي تميز بها كل من الشفاء والجامع الصحيح للبخاري، هي التي جعلت منهما مضرب الأمثال، وقبلة القصاد، مما يترجم عن

(1) - أبو الفضل عياض البحصي توفي سنة 544 هـ / 1149 م .

(2) - الزركلي، الأعلام، ص 6/34، دار العلم للملايين، ط 1990/9 .

(3) - صبحي صالح، علوم الحديث ومصطلحه ص 396، دار العلم للملايين، ط 1988/17 .

تعلق العوام بكل ما هو ديني، فينعكس ذلك على مستوى الخطاب اليومي، الذي يعج بذكر مصطلحات وحقائق ورموز إسلامية لا حد لها، إلا أننا بتعمقنا في تأمل مكونات هذا الخطاب نصطدم ببعض الكلمات والأمثلة، والتي يعسر علينا فهمها، وأخص بالذكر الكلمات المستمدة من المعين الصوفي أساساً.

فما التصوف ؟ وهل للتصوف تاريخ في البلاد التونسية ؟ وما هي هذه الأمثلة المستعملة في الحياة اليومية والمتعلقة بالمعاني الصوفية ؟

II / الحقيقة الصوفية والعامة التونسية.

1) التعريف بالتصوف.

أ- الظهور التاريخي وسبب التسمية.

لقد ظهر مصطلح التصوف، خلال القرن الثاني للهجرة، وهو ما أجمع عليه العديد من المؤرخين والمهتمين بحقل التصوف قديماً وحديثاً، ونجد على رأس هؤلاء عبد الرحمان بن خلدون، الذي حاول أن يقدم تفسيراً منطقياً، يبرر به الظهور التاريخي للصوفية، فيرى أن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ساروا على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم، بالإقبال على الله والإعراض عما سواه " فلما فشى الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده جنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية"⁽¹⁾.

أما سبب حملهم لهذا الاسم، فقد تشعبت فيه الآراء، وجل هذه الآراء

(1) - ابن خلدون، المقدمة ، ص 517 ، دار الجيل ، د.ت.

لا تصمد أمام النقد التاريخي والترجيح اللغوي" وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية، قياس ولا اشتقاق إلا ظهر فيه كاللقب "(2).

ولعل الرأي الذي حظي بإجماع عدد هام من الباحثين ، نسبة هذا الاسم إلى الصوف " لأنه يقال تصوف، إذ لبس الصوف، كما يقال تقمص إذ لبس القميص "(3).

إلا أن القشيري⁽⁴⁾ يرى أن " القوم لم يختصوا بلبس الصوف "(5)، وهو ما يجعلنا نعتقد أن لباس الصوف، كان زي أسلافهم الأوائل، وزي كل من اختار طريق الزهد والعبادة، نظرا لخشوته وزهاده ثمنه، زيادة على أنه شعار الأنبياء والصالحين في الأمم السالفة، فهو لباس الفقراء على مر التاريخ، أي لباس المعدمين المضطرين، وزي النساك والزاهدين، لكن ما

ARCHIVE

ب- ماهية التصوف. <http://Archivebeta.Sakhr.it>

إن الحديث عن الماهية، يتعلق أساسا بالحديث عما هو ثابت وجوهري، مما يغنيانا عن التعرض للمسائل العرضية والفرعية، والتي تسمى عند الصوفية بألوان التربية، والتي تخضع للمتغيرات الزمانية والمكانية، إلا أن الظفر بتعريف جامع مانع للتصوف ليس بالأمر اليسير، لأن كل سالك

(2) - القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص 279 ، دار الجليل ، ط 2 ، د.ت.

(3) - عبد القادر السهروردي ، عوارف المعارف، ص 83 ، دار الفكر ، د.ت.

(4) - عبد الكريم القشيري أحد أعلام التصوف أشهر كتبه الرسالة القشيرية، توفي 465 هـ /

1073 م.

(5) - القشيري ، الرسالة القشيرية ، ص 279 .

يكاد يتفرد بتعريف خاص به، إذ انطلق كل واحد منهم في حقيقة الأمر، من حاله ومقامه، دون أن يحيط بكل معاني التصوف، ونلمس ذلك بوضوح عند تصفحنا لولية الأولياء، والتي تعد أضخم كتب التراجم، التي اهتمت برجال التصوف، فقد ترجم فيه صاحبه، لأكثر من ثمان مائة شخصية، نكاد نخزم أننا نستطيع الظفر بثمان مائة تعريف للتصوف، يوازي عدد المترجم لهم.

أما القاسم المشترك بين جميع التعريفات، يتمثل في اتفاقهم على أن التصوف غاية تهذيب النفس وتنقيتها من صفاتها المذمومة، وتحليتها بالصفات الحمودة، لتكون باقي التعريفات التي تقدم التصوف على أنه ذكر أو مجاهدة أو خلوة أو سياحة، هي بمثابة الوسائل التي تساعد على تحقيق هذه الغاية.

فمن يجاهد نفسه حتى يعلم حيلها، ويدأوي بحيلها، هو الفقيه على الحقيقة عند الصوفية، لأنه يعمل بما يعلم " فاسم الفقه في الزمن الأول كان يطلق على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق النفوس "(1)، وهذا الأمر جعل بعضهم، يضع التصوف ضمن صميم العلوم الشرعية، ونجد أبرز هؤلاء، جلال الدين السيوطي (2)، والعز بن عبد السلام (3)، وعبد

(1) - عماد الدين الأمري، حياة القلوب، المنشور على هامش قوت القلوب، ص 2/263، دار

الفر د.ت.

(2) - جلال الدين السيوطي، وصل درجة الاجتهاد في عصره، له أربع مائة وستون مؤلفاً، توفي

سنة 911 هـ / 1505 م.

(3) - العز بن عبد السلام، مفسر وأصولي وفقه، اشتهر بغزارة التأليف توفي 660 هـ / 1262

الرحمان بن خلدون ، فصاحب المقدمة مثلاً نجده، يجعل علوم الشريعة على صنفين " صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا، وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها "(4)

والحق أن التصوف تفرع إلى اتجاهين أساسيين، هما التوجه النظري الذي مثله كل من ابن عربي وابن سبعين والقوي، والفرع الثاني وهو الأكبر وقد مثله كل من الجنيد وعبد القادر الجيلاني وغيرهم، وهو الذي يهمننا في هذا المقال، لأن البلاد التونسية لم تعرف التصوف النظري اطلاقاً، رغم زيارة بعض رموزه للبلاد، وإقامتهم فيها ردحا من الزمن⁽⁵⁾، مثل محي الدين بن عربي⁽⁶⁾.

ج- تاريخ التصوف بالبلاد التونسية.

إن المتتبع لتاريخ التصوف بالبلاد التونسية، يلاحظ ما مرّ به التصوف من مراحل اختمار عديدة، هي التي حددت معالمه النهائية، وقد قاد جملة من الأعلام مراحل النحت والقذ هذه، والذين تركوا آثارهم في الثقافة والوجدان، وحتى على الجغرافيا، إذ نجد الكثير من المناطق تحمل أسماءهم إلى يوم الناس هذا، مثل ضاحية " سيدي بوسعيد " التي تنسب

(4) - ابن خلدون، المقدمة ، ص 517 .

(5) - برانشيفك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ص 2/337 ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي،

1988

(6) - محي الدين بن عربي، يلقب بسلطان العارفين، ولد بحرسية ، ونشأ باشييلة ، كان صديقاً لابن

رشد، من أهم كتبه، الفتوحات المكية، توفي في سنة 656 هـ / 1240 م.

إلى ابن سعيد الباجي⁽¹⁾

لقد عرّف التصوف أوج انتشاره في البلاد التونسية، بداية من أواسط القرن السادس، وذلك على يدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي، الذي أحدث نقلة تاريخية لافتة، شملت المنهج وأعداد المنتسبين.

فقد أخرج الشاذلي التصوف، من دائرة الممارسة الضيقة، إلى رحاب أوسع، إذ منحه طابعه الجماهيري، وصورته السنية الواضحة، فقبل الشاذلي كان التصوف حكرا على مجموعة معينة من الأشخاص الذين يتمتعون باستعدادات خاصة وقبلوا التضحية بذواتهم، من خلال الانسلاخ عن الواقع والاكتفاء بالعزلة، وترك جميع الأسباب من تكسب وزواج، فكانوا هم المخور، أما القطاع الواسع من عامة الناس، فلم يكن بمقدورهم الايقاء بهذه الشروط، فكان نصيبهم من التصوف، هو التفرح والتبرك والتخليص عن الخوارق.

فأسس الرجل طريقة، تقطع مع الموروث السابق، وجعلت التصوف قائما على الذكر مع إمكانية تحصيل كل الأسباب الدنيوية، شرط أن تكون الدنيا في الجيب، لا في القلب، مما جعل أعداد المريدين يتضاعف في عهده.

وهذه الوفرة العددية، والتفاف عامة الناس حول الرجل، أثارت توجس

(1) - أبو سعيد الباجي، ينسب إلى منطقة باجة، وهي من ضواحي مدينة منوبة، توفي سنة 628

الأمير أبو زكرياء الحفصي⁽²⁾ خاصة بعد أن أكد بعض المغرضين هذه المخاوف ، من خلال نقل الأراجيف إليه وادعائهم أن الرجل يسعى للاستيلاء على الحكم، مما دفع بالشاذلي إلى مغادرة البلاد والاستقرار بمصر، إلا أنه ترك وراءه ، نخبة من المريدين المخلصين وقاعدة شعبية عريضة، صارت تعرف التصوف وتتذوق حقائقه، فما هي المواضيع التي تمكنا من الوقوف على هذه الحقائق في الخطاب اليومي لعامة الشعب التونسي ؟ وهل هذا الخطاب المثقل بالدلالات الصوفية حافظ على وضوح معانيه في أذهان المتخاطبين ؟

2) نماذج من الحقيقة الصوفية الماثلة في الخطاب اليومي.

من بين العبارات المثقلة بالمعاني الصوفية، والمتداولة كثيرا في اللهجة العامية التونسية، وخاصة عند المتقدمين في السن، نجد عبارة " ربي يستر حالك "، والتي ترد في سياق الدعاء وتمني الخير، وأول ما يتبادر إلى الأذهان عند سماع هذه العبارة، أن معناها هو تمني تحقيق الكفاية المادية للشخص المدعو له، فلا يحتاج إلى أحد، ولا ينكشف على عوزه مخلوق، وهو فهم بعيد جدا، عن المعنى الأصلي الذي وضعت له العبارة، والتي قصد واضعوها في حقيقة الأمر ستر الحال المعنوي لا المادي، والحال عند الصوفية هو ما يرد على القلب من معاني، دون اجتلاب أو تكلف " من طرب أو حزن أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هيبة أو

(2) - أبو زكرياء يحيى الحفصي، موطن أسس الدولة الحفصية، وقد عرفت البلاد في عهده ازدهارا اقتصاديا ، توفي سنة 647 هـ / 1249 م.

اهتياج، فالأحوال مواهب" (1)

وهي ثمار الذكر والمجاهدة، ولكل مقام عندهم أحوال خاصة به، فإذا عبر السالك عن هذه المعاني التي يجدها في قلبه سقط في الإهمام، خاصة إذا كان المستمع من غير الصوفية فيستغربه " ويورثه ذلك دهشة، من حيث يسمع ما لا يفهم" (2)

وهي إشكالية التعبير عن الحالات الشعورية بصفة عامة، فكيف يمكن لشخص متألم أو منتش أن يجعل الطرف المقابل، يتمثل ما يشعر به، ويعيش معه الإحساس نفسه، خاصة أمام غياب مصطلحات متعارف عليها يمكنها أن تنقل هذه المشاعر، وهو ما يسقط فيه الكثير من الصوفية، لما عبروا عن حالات روحية ذوقية، فضاعت العبارات عن حمل المعاني، وهذه التعبيرات يطلق عليها اسم الشطحات، لأن الشطحات يتضمن ظاهرها، وخروجها عن الشرع (3)

وهو ما وقع للحلاج (4) مثلاً عندما قال " ما في الجبة إلا الله " ، فقد كان الرجل في مقام الفناء، وانتابته حالة من الذهول، جعلته يذهل عن كل ما حوله فضلاً عن نفسه، لأن الواصل إلى هذا المقام لا يرى في الوجود إلا الله، فيختفي الحادث أمام القديم ، وهي زبدة الحقائق

(1) - القشيري الرسالة القشيرية، ص 57 .

(2) - الغزالي ، مجموعة رسائل الغزالي، ص 429 ، دار الفكر، ط 1 / 2003 .

(3) - المرحاني ، التعريفات ص 130 ، دار الكتب العلمية ، ط 1 / 2000 .

(4) - أبو العيث الحسن بن منصور الحلاج، فارسي نشأ بالعراق، ادعى أمور عظيمة، أقيم عليه الحد بسببها سنة 309 هـ / 921 م.

عندهم والمتمثلة في وصول السالك إلى معرفة أن الله هو الموجود على الحقيقة، باعتبار أنه لم يوجد أحد، ولا يحتاج في وجوده إلى أحد، في حين أن العالم بكل مكوناته يحتاج إليه.

فلما نطق الخلاج بهذه العبارات، أساء التعبير وفطن من حوله، فكان جزاؤه القتل، وخوفاً من تكرار هذه الفاجعة، كان الناس يدعون إلى بعضهم البعض، بستر أحوالهم، وأن تبقى هذه الحقائق ملكاً لصاحبها، وإذا تكلم يجب أن يكون الفرق على لسانه والجمع في وجدانه كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي⁽¹⁾، بمعنى أن يشير إلى الكون والناس ولا يقول لا موجود إلا الله، وإنما يحتفظ بهذه الحقيقة في باطنه فيعيشها ويتحقق بها، والواصل درجة الكمال في امتلاك الحال، يجب أن " لا يحجبه جمعة عن فرقه، ولا فرقه يحجبه عن جمعة، وإنما يعطي كل ذي قسط قسطه"⁽²⁾.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وهذه العبارة التي نحن بصدد تحليلها، تبرز بما لا يدع مجالاً للشك، وجود قاعدة عريضة من المجتمع التونسي، كانت تنسب إلى التصوف، وتمارسه وتدرسه بعض عقباته.

كما نجد عبارة أخرى لها ارتباط متين بمراحل السير عند الصوفية، وتكرر على ألسنة العوام وهي " برّا ربي يفتح عليك " بمعنى يفتح عين بصيرتك على الحقيقة الكلية، وهي معرفة الله سبحانه وتعالى، فالفتح

(1) - محمد بودينة ، أبو الحسن الشاذلي، ص 93 ، دار التركي.

(2) - م.ن ، نفس الصفحة.

هو إزالة حجاب النفس، لذلك يقول الصوفية " من عرف نفسه، عرف ربه " (3)

فإذا تم هذا الفتح صحبتة الأنوار، لذلك نستمع إلى يوم الناس هذا، إلى ذلك الدعاء الدائم، المتمثل في قولهم " برأ ربي ينورك " و "منور" ، والتي يعتقد البعض أنها خاصة بجمال الوجه، لكنها تعني التنوير بالمعنى الصوفي.

الخاتمة :

وفي الختام، لا يمكنني الادعاء، أني أثبت على جلّ الألفاظ العامة المعبرة عن الحقيقة الدينية عامة والحقيقة الصوفية على وجه الخصوص، وإنما أردت بهذا المقال، أن أقدم مجرد بروق خاطفة، يمكنها أن تمهد الدراسة، لمن يروم البحث في هذا الباب، خاصة أن المختصين في علم الاجتماع أو النفس أو الأستثنائية يتناولون الخطأ من وجهة نظر جامدة، تحاول أن تفهم اللغة اليومية، كتعبير عن الحاجات الراهنة، وفق الإحداثيات الزمانية والجغرافية المعاصرة، متجاهلين عنصر الإمداد الرئيسي وهو الدين، وتحديدًا البعد الصوفي المتجذر في الوجدان الشعبي، والذي يتميز بالحرّك، رغم أن الدلائل الظاهرة توحي بأن هذا البعد انتهى تأثيره ، أو أنه ليس جديرًا بالدراسة، باعتبار أن المنتسبين إليه يمثلون أدنى الطبقات الاجتماعية تعلمًا، والتي تحاول أن تشدّ المجتمع إلى الوراء.

فالتصوف اليوم يمثل طوق النجاة، القادر على إخراج الإنسان المعاصر

(3) - ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، ص 624. دار الكتب العلمية، ط 1 / 2000 .

من مستمتع الحياة الاستهلاكية ، التي حاصرتها وحولته إلى أداة لتحقيق جملة من المتطلبات المادية، فأصبحت الأشياء تملكه عوض أن يملكها، فيحزن ويتألم وأحيانا ينتحر إذ فقدها، وهي مرحلة الغربة عن الذات وعن العالم، لأنه صار لا يبصر إلا الحس، مهملا قوة الروح فيه، فالروح أساس تكريمه، وما هذه الأشياء المبعثرة في الخارج، إلا أدوات جعلت لخدمته، زيادة على ما يتضمنه التصوف من بعد أخلاقي، يكسب المرء أريحية في التعامل مع الآخرين، وتجنب إقصاءهم، فهو الدواء الشافي لداء التعصب البغيض، الذي يعصف بالعالم اليوم، باعتبار أن للحقيقة مستويات متعددة، تبعا للزاوية التي ننظر منها، فمن الخيف أن ننظر للإنسان وللعالم من زاوية حسية أو عقلية وحسب.

كانت تونس منذ القدم توافقه إلى أحكام دوايب الحياة عبر مختلف حلقاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهو ما جعلها سباقة في هذا الصدد باعتمادها لعهد الأمان الذي أعده العلامة ابن أبي الضياف في عهد محمد باي حيث انبهرت أوروبا بتوجهاته الحضارية.

واحقاقا للحق لا بد من الاعتراف بأن هناك من ملوك تونس من برزت عندهم مواقف مشرفة يوشك أن يكون فيها تحقيق لمطامح الشعب كاستقبال وفد الأربعين -محمد الناصر باي- أو من ضحوا بالعرش في سبيل الوقوف إلى جانب الشعب -محمد المنصف باي- ولكن أيضا لا بد من الاعتراف بأن امثال هؤلاء كانوا بين ملوك تونس قلة قليلة نادرة بل تكاد تنحصر في فرع معين من فروع شجرة الحكم الملكي بتونس

ريادة محمد البشروش في دراسة :

الأدب التونسي قبل الإسلام

"مستقبل الماضي هو الحاضر والحاضر هو ملامح المستقبل"

أغسطينوس

بقلم : جلّول عزّونة

المقدّمة :

محمد البشروش، شاب متعدّد المواهب والإهتمامات: قصّة تاريخ وتراث، ترجمة، شعر، صحافة...

أ- البشروش المجلّد :

في القصّة : الواقعية الجديدة، البلاغ وعظّ ولا إرشاد... تصوير فتي ...

في الصحافة: الطّموح لبعث مجلّة ذات مستوى مرموق، رغم العراقيل وقلّة ذات اليد... (محاولة أولى وثانية)

في الشعر : نظرة جديدة، تقطع مع القديم والمكرّر، والجديد قوامه الغنائية أي الشعر النّابع من النفس ومن تجربة الشعر الحياتية- وهذا هو المفهوم الحديث والأرقى للشعر منذ القرن الماضي وكان في هذا مع جمع من رفاقه وعلى رأسهم الشابي...

ب- البشروش الصّريح والعنيد في خصوصياته:

من ذلك هجومه على أصنام الشعر، الذين فازوا في استفتاء مجلّة

العالم الأدبي وهم : عبد الرزاق كركباكة ومحمود بورقيبة والطاهر القصار.

..(استشهاد = انظر : كتاب: عبد الحميد سلامة ص 194 و 195)
وهو إذ يهاجم رموز الشعر في عصره، بدون تردّد ولا محاباة ولا تورّيّة
وبكلّ عنف فلاّته وصحبه إنّما كانوا يبحثون عن منابع جديدة مغذّية
للشعر وللآداب بصفة عامّة بعيدا عن المعاد والممحوج والمعهود ونعت
انصار القدم بـ "الجيف التنتة" (ص 84 = كتاب سلامة).

(. استشهاد آخر = هو واع تماما بصحّة موقفه ولا يخاف لا الغضب
ولا السخط عليه (كتاب سلامة: ص 87)

وفي بحثه عن المنابع الجديدة يهرع إلى : الآداب الأجنبية الأخرى
المعاصرة والأوروبية منها بالخصوص وإلى آداب بلادنا القديمة ولفترة ما
قبل الإسلام بالذات <http://Archivebeta.Sakhrat.com>

2) ريادة البشروش في الدعوة لأدب تونسي

1) ملابسات الدعوة :

أ) في الخارج

. الدعوة المصرية - السياسية الأسبوعية = الدعوة لأدب قوميّ (كتاب
سلامة ص 189)

. الدعوة الإستعمارية والتي تبطن قطع جذور الأمتة عن حاضرها
الإسلامي العربي وذبذبة الإنتماء والعودة لعصر الرومنة انطلاقا من نظرة
مركزية أوروبية ترى أحقية الغرب بقيادة العالم

ب- في الداخل :

. هاجس التجديد الفكري والأدبي والإقلاع الحضاري عموما والأدبي خصوصا وذلك انطلاقا من وعي عميق بتخلفنا في هذه الميادين بعد حركة الترجمة الحديثة وحذف اللغات وقراءة إنتاج الغرب مباشرة .
الدعوة السياسية الوطنية وطلب الاستقلال وتنظيم الصفوف من أجل ذلك، وهذه الدعوات الوطنية وإن كانت ذات صلة بعضها ببعض فإنها بالأساس تنهض من داخل الحدود الجغرافية الإقليمية أي الحدود التي تبتها أو طورها الاستعمار والحماية وإن كانت هذه الدعوات تقوم من أجل تفويض الاستعمار والحماية ولكنها تأخذ في دعوتها إلى التبشير بقيام كيانات إقليمية وطنية كمرحلة ضرورية في التكتيك السياسي.

2- كيف تخلص البشروش من فتح الإقليمية ومن هجومات خصومه ؟

أ) مناصرة بعض الأصدقاء لدعوته وأساسا محمد الحليوي

استشهاد = محمد الحليوي :

(في الأدب التونسي - ص 167 و 168)

(و 169 و 170 و 171 و 173)

ب) توسيع الدعوة:

وذلك بدعوة البشروش إلى الاهتمام بكل الميادين وطنيا مثل :

. الدعوة للموسيقى التونسية (لا المؤلف)

(... وحضور بورقية في حفل 1932 عند عودة وفد القاهرة إثر المؤتمر

العربي الأول للموسيقى ...)

والدعوة للاهتمام بالتاريخ القديم والتراث وبال فنون بصفة عامة وهو في هذا ينظر نظرة شاملة للثقافة الوطنية ككل متجانس ومتكامل.

ج) الحفاظ على اللغة العربية الفصحى

وهو ضدّ الإطاحة بها- وهو، مع الخليوي يخرجان من أهمّ قسمة لخصومهما وإن دعا الصديقان إلى الاهتمام بالأدب العامي جمعا ودراسة لالتصاق ذلك الأدب الشعبي بالمشاعر العميقة للناس ولصدق ذلك الإبداع، ممّا يتماشى مع مذهبها الأدبي، فإنّ الدعوة آخر الأمر، هي التقريب ما بين الأديين العامي والفصيح للإرتقاء بالذوق العام وخلق لغة فصيحة بسيطة غير معقّدة وسهلة الفهم والتناول، هدفها لا تقليد القدماء وإنّما وصف الحياة والتعبير عن همومها ومشاعرها.

أي إنّ دعوة البشروش هي خلق لغة وسطى جديدة تتماشى مع الحياة الجديدة والمعاصرة- (أنظر كتاب بوسلامة ص 233 و234)

د- تبني أدب ما قبل الإسلام

واعتبار ذلك الأدب أدبا وطنيا بأنّ معنى الكلمة، رغم أنّه كتب بغير العربية، لغة البلاد منذ 14 قرن.

واعتبر أنّ أهمّ عناصر الأدب الوطني وقبل اللغة هو النفسية الشعبية الوطنية وقد قضى سنوات شبابه ونضجه الفكري يبحث عن النفسية الوطنية التونسية والذاتية التونسية فيما كتب قديما وحديثا، لذلك تراه يقرأ ما يكتب عن بلادنا بالفرنسية أساسا من دراسات أدبية وتاريخية وفكرية ومقالات صحافية، ويترجمها أو يعرف بها في سلسلة من

المقالات محاولاً تتبع ما كان يعتقد أنه مميزات تونس عبر العصور بغضّ النظر عن الدين واللغة...

لذلك لقبوه بـ "زعيم حركة الأدب القومي في تونس" (العالم الأدبي 17-4 جويلية 1932 و ع 18-غرة جويلية 1932)؟

(انظر كتاب سلامة = ص 111 و 112)

ولقب كذلك بـ "أول داع للأدب القومي بتونس، الأستاذ الجريء والكاتب النابع" (الزمان ع 136-11 جويلية 1932

وقد قام البشروش من أجل تبليغ دعوته بكتابة تعريف وتحرير عن أدب تونس (أو شمال إفريقيا، بصفة أوسع) قبل الإسلام في عهده الإغريقية والبنوية القرطاجنية أو الرومانية والوندالية والبيزنطية

ونشر من أجل ذلك حوالي (20) مقالة مختلفة بكلّ من الزمان (جريدة) سنوات 1934 و 1936 و 1938 (حوالي 7 مقالات)

. وبالعالم الأدبي (مجلة) = سنوات 1930-1932-1935- (7) مقالات

. وبالنزهة (جريدة) سنة 1944 (مقالان اثنان)

. وبالنهضة - سنة 1930 مقال وحيد

. وبالمباحث = مقال وحيد سنة 1944

أي أنه بقي يحمل هذه الدعوة من سنة 1930 (1) إلى سنة وفاته 1944 ... بل إنّ له مشاريع لم يتمّها وقد استغلّ اشتغاله بالإذاعة التونسية، فبثّ حلقات دراسية في نفس المعنى

3- منهج محمد البشروش في تناول الأدب التونسي قبل الإسلام :

أ- إنَّ منهج البشروش محدودة، لأنه درس هذا الأدب حسب
الإمكانات المتاحة له عندئذ، فهو لا يتقن لا اليونانية ولا اللاتينية،
لذلك فهو في ما كتب علة على الدارسين الفرنسيين المختصين،
وبالخصوص على المستشرق Paul Monceaux في كتابيه المعرفين
المذكورين في المصادر:

أ) (Les Africains Les Paiens (1894) (500 صفحة)

ب) (تاريخ الأدب المسيحي في شمال إفريقيا) (7 أجزاء)

ولكنه مع هذا يضيف ما اطلع عليه (Revue Tunisienne 1912) مثلاً
ص 274 والبشروش يذكر مصادره بدون حياء وهم الوحيد هو
التعريف والدعوة للإهتمام بهذا الأدب (2) لذلك تراه كثيراً ما يلجأ إلى
القول:

- "على ما يقول دارسوها" (ص 264-سلامة)

- "على ما يقول الذين درسوها" (ص 273)

- "ولغته يقولون إنها لغة السوق" (ص 274)

- "حسبما يقول الأستاذ بول مونسو" (ص 285)

- ولا نجد يذكر أنه قرأ مباشرة إلا قصة المسوخ الأيلي، يقول (ص
267-سلامة) "ولم نقرأ من كتب أيلي إلا قصة: الممسوخات أو الحمار
الذهبي" وكذلك اعترافات أغسطين، يقول البشروش (ص 279 من
كتاب سلامة).

"الإعترافات، وهي اعترافات لم نقرأ ما يضارعها من اعترافات سواء من

الكتاب ولست استثني اعترافات روسو"
ومحدودية منهج البشروش هذه لا تنقص من عبقرية الرجل شيئا بل هي
تظهر نزاهته العلمية:

ب) وهناك مظاهر أخرى لمنهجه تضيء لنا مساره الفكري فهو مثلا:
يتبنى نظرة لائكية لهذا الأدب: يقول ص 248 (كتاب سلامة) " فدرس
الآداب وفهمها شيء والدين شيء آخر"

وهو صاحب نظرة مستقبلية للأشياء (ص 250 من كتاب سلامة):
"إن العصر الذي يجمع بين ثقافة الغرب وثقافة الشرق ويوفر للأدب
التونسي مزايا قلما وفرت للغير فنخرج بعد كل شيء بشخصية أظهر
وذاقية أبرز وأغنى وأمثل وأنتم"
ثم هو آخر لا يقبل أن تدرس آدابنا قبل الإسلام في جميع أصقاع العالم
وتترجم إلى كل اللغات الحديثة ^{التي} ^{عند البلاذري} ^{التي} ^{أخرج} منها والتي تمت إليه
بصلة الرحم والقربى" (ص 258-كتاب سلامة).

3- الخاتمة : دعوة البشروش لا تزال صالحة اليوم وقائمة الذات:

لم تذبل ولم يفعل فيها الزمن فعله لأنها لم تتحقق إلا جزئيا رغم قيام
الدولة الوطنية التي بنى البشروش أسسها الفكرية والثقافية.

1) ترجمة هذا الأدب : (انظر المراجع)

أ- ابراهيم بن مراد (ابراهيم الغربي)

ب) - د. فهمي خشيم من ليبيا الذي ترجم بجانب تحولات الجحش
الذهبي

- دفاع صبراته (دفاع أبو ليوس المدوري في محاكمته بمدينة صبراته)
- الأزهير - نماذج من كتابات وخطب وأحاديث الأديب لوكيوس أبو ليوس المدوري ... إلخ (3)
(2) محاولة تدريس هذا الأدب في قسم الفرنسية بكلية الآداب في منوبة منذ ثلاث سنوات.

- Apulee l'ane d'or -

- St Augustin Les confessions -

- ومع الإصلاح الجديد، هل سيتواصل هذا البرنامج؟
(3) تجربة مصر وسوريا وبالأخص العراق الذي هضم التجارب الماضية وآداب الرافدين القديمة، وترجمها ودرسها واستبطنها في الضمير الوطني واستلهمها في الإنتاج الأدبي الحالي، وهذا هو طريق المستقبل.
(4) دعوة بيت الحكمة لترجمة هذا الأدب إلى العربية، ونحن بدعوتنا هذه (عودة النص) نتمشى تماماً ودعوة البشروش في الحفاظ على اللغة العربية وفي إثرائها وذلك إثراء لنا في زحمة القرن الواحد والعشرين في المنافسة العالمية الشاملة والتي تتجاوز السلاح الإقتصاد والصناعة لتلج عالم الفكر والثقافة أي الحضارة بمفهومها الواسع.

- (5) ودعوة البشروش لقيت قبلي صداها لدى:
أ) البشير بن سلامة (استحواب بلادي- 7 مارس 1977- والفكر أبريل 1978)- أنظر مهاجمة محمد احمد القابسي
ب) الشاذلي القليبي (أمام مجلس الأمة: الصباح 9 ماي 1977)

ج- الحبيب الجنحاني يظهر حذرا كبيرا (الصباح 31 اوت 1978)

د- حسين فطر: (بلادي الثقافية - أفريل 1978)

هـ - محمد اليعلاوي (P 12/11/78 La Presse)

6- ومثلما يقول اغسطينوس : ارتباط الماضي بالحاضر والمستقبل، فنحن في حاجة، لفهم تطوّرنا الحضاري وبالتالي لفهم أنفسنا، أن ندرس لا تاريخنا القديم فحسب، وآدابنا القديمة ولو كانت بلغة غير لغتنا العربية، لغة اليوم، بل لدرس فلكورنا وأساطيرنا واحلامنا، لأنها مكونات اساسية لذواتنا العميقة مثلما يذهب لذلك يونغ (انظر = عرض الحمروني) مجلة الإذاعة...



ملحق

1) حسين فطر :

قضايا تعريب التاريخ القديم بحقوقها

(ملتقى ابن منقري)

بلادي الثقافية - أفريل 1978 ص 17 و 18

"نؤسب بيدا تاريخنا القديم بظهور الكتابة فيها، أو قل باستعمال الكتابة فيها، أي بدخول الفينيقيين"

"... لكل قطر عربي تاريخه القديم، فالتاريخ القديم، بالنسبة للعراق ومصر الفرعونية بيدا في حدود الألف الرابعة قبل

الميلاد... ولا بدّ من ظهور حركة قومية مؤمنة تنادي بالاهتمام بالتراث القديم"

فقد أعرض سلطان الإسلام عن كلّ ما سبق الرسالة... وسعى الاستعمار جهده ليعيد للوئى عليهم عن تراثهم وتاريخهم

القديم وسحقوه لإرساء نظرياتهم وسياساتهم... وهناك جزء من الحضارات القديمة ينسب إلى العائلة السامية، كالبابلية

والأشورية والكنعانية والشميرية وغيرها...

ووجب جعل هذا القطاع من التراث القديم مستورا لئلا الحاضر ومفيدا لتصور المستقبل؟"

2- Esprit d , ouverture qui allie l'affirmation de l'identite arabo musulmane, au

souci de nous prevaioir d'un prestigieux passe numide ou carthaginois

Mohamed yaalaoui

La presse, 12 Novembre 1978

المصادر والمراجع :

1) المصادر :

1 - عبد الحميد سلامة: محمد البشروشي، حياته وآثاره الدار التونسية للنشر - 1978 - 483 صفحة.

انظر بالخصوص الصفحات: من ص 76 على ص 82- ومن ص 110 إلى ص 112 (حول التوسيفي التونسية) ومن ص 115 إلى ص 117- وهي الصفحات التي خصصتها عبد الحميد سلامة لموضوع الأدب القومي والأدب التونسي قبل الإسلام وبسط الإشكالات حول تلك المواضيع

أما مقالات البشروش فهي في الصفحات: من ص 189 على ص 193

أ- دعوة على تكوين أدب قومي- النهضة- صيف 1930

ب- الأسلوب- العالم الأدبي- ص 3- عدد 9 سنة 1- نوفمبر 1930

ج- الأدب العلمي: (ص 233)- الزهرة عدد 10442- سنة 57-3 جانفي 1944

د- سلسلة مقالات حول تاريخ الأدب التونسي قبل الإسلام (من ص 247 إلى 285)

(9 مقالات)

- في الأدب التونسي: الزمان- ص 1- عدد 229- ص 6-3 جويلية 1934-

- لغة: العالم الأدبي ص 1 عدد 6- ص 4-4 مارس 1935

- العصر الإفريقي: العالم الأدبي- ص 6- ع 15 ص 224-سبتمبر 1935

- العصر اللاتيني: العالم الأدبي- ص 3-عدد 17 ص 4-16 ديسمبر 1935

- عصر أبياتي وترتوليان: الزمان- ص 2- عدد 313 ص 6-7 جانفي 1936

- عصر الملوك الأفارقة- الزمان عدد 314 ص 6-14 جانفي 1936

- سيرة... الخ الزمان- عدد 315- ص 6-21 جانفي 1936

- عصر أغسطس... الزمان: عدد 317- ص 6-4 فيفري 1936

- عصر الرومان... والعصر البيزنطي- الزمان ص 6-3 مارس 1936 (4)

هـ - الموسيقى التونسية (1)- العالم الأدبي- ص 3- عدد 17- ص 3-4 جويلية 1932

و - الشيخ أحمد الوافي- العالم الأدبي- [ع 3] عدد 18- ص 3-11 جويلية 1932

ز- الموسيقى التونسية (2) العالم الأدبي ص 2- ص 3- 18 جويلية 1932-

ح- عديد المقالات الأخرى

.. وحول العناية بتاريخها- الزهرة- عدد 10.557- سنة 58-1 ماي 1944

- عنايتها بآثارنا - لمباحث- ص 4- ع 6- سبتمبر 1944

.. دعوة إلى طبع المخطوطات التونسية ونشرها الزهرة عدد 10.456- ص 57- جانفي 1944

- الآثار التونسية: الزمان- أعداد 460-461-462-463- سنة 1938 (وهو سلسلة مقالات مترجمة).

في الجملة: حوالي (23/مقالة للبشروش... (5)

(2) محمد الحليوي: في الأدب التونسي- الدار التونسية للنشر- 1969- 318 صفحة

أ) الدعوة إلى تكوين أدب قومي من ص 165 إلى 170- (نشر بالهضة- صيف 1930)

ب) ردة على صاحب: النهضة - 18 لوت (من ص 171 إلى ص 175)

ج- محمد البشروش - مجلة الفكر لفريل 1960- (من ص 107 إلى 113)

3- Paul Monceaux.Les Africains.Etude sur la litterature latine d afrique les

paiens-Paris.Lecene-1894-500p

4- Monceaux.Paul Histoire de l afriaue chretienne de puis les origines jusqu a l

invasion arabe.Paris Lerous 7 tomes T.1 des origines au siecle Editions

turk.le bardo 1988 194 pages

Apulee 1 que d or ou les metamorphoses.Follo.n 629.Galli mard 1958 et -6

1975 309 pages

Saint Augustin. Les confessions Editions Pierre Horay Collection. Points -7

Sagesses SA.31 Le seuil.1982.traduction de louis de Mondadon.presentation

par andre mandouse

8-د. علي فهد حشيم- تحولات الجحش الذهبي المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان- طرابلس- الجماهيرية الليبية -

ط1- 1980 وط2- 1984-384 صفحة وهي ترجمة منتقاة من صفحات الجحش وهي القصة الوحيدة لهذه الترجمة

قد قُسم الكتاب كلٌّ من :

أ) الطائعات الخلقوي: مسوغات لو تحولات الجحش الذهبي- جريدة الإتحاد الاشتراكي (الغرب الأقصى) -15 ديسمبر

1991 ص 6

ب) لغادي دتالبا: توثيق تراث وثني في سياق الدعوة إلى المسيحية جريدة الأخبار- السبت 20 ديسمبر 1986

2- المراجع :

1- محمد فطر : الحياة الثقافية والفنية بقرطاج مجلة الفكر

2- محمد يعقوب: "أبو لوس" كاتب شمال افريقي باللغة اللاتينية في القرن الثاني بعد المسيح - مجلة الفكر

3- خالد التومي: رواية لو كس أبو لوس، أو حصيلة تحولات الجحش الذهبي (3 مقالات) العمل- ديسمبر 1986-

ص12

4- ابراهيم بن مراد وعبد القادر بن هادي: للسوخ (نقد وتعرية وترجمة). مجلة الأتلام العراقية عدد5-12- شباط

1977 من ص 5 إلى ص 16

(نشر المترجمان فصلين من رواية للسوخ لأبلي بمجلة فصيح)- عدد 41 و42 جويلية وأكتوبر 1978- زاعادا نشر

الفصلين بمجلة: الحياة الثقافية عدد 3 وعدد 4 س 1 نوفمبر 1975 وديسمبر 1975

5- البشير بن سلامة: استنحباب له- جريدة بلادي- ص 23 من 7 إلى 13 مارس 1977

6- البشير بن سلامة : تونس والدولة الوطنية مجلة الفكر -س23- عدد 7 أبريل 1978 من ص 62 إلى ص 65

7- محمد أحمد القاضي : وغذا عادت العقر 1 (في الصميم)- بلادي- 24 أكتوبر 1977 ص 11 (وهو ردّ منشع

على كتاب البشير بن سلامة : الشخصية التونسية ومقوماتها)

8- الشاذلي القليبي : اهدافنا تلتخص في إحياء الذاتية التونسية (في مجلس الأمة) الخميس 5 ماي 1977 ص 16

9- الحبيب الجناحي : الثقافة العربية المعاصرة ومصر الوطن العربي- الصباح- الخميس 31 لوت 1978 صفحة فكر

وفن

10- احمد الحمراني: مدخل على علم النفس التحليلي للنحوي وتقدم بحث لهاذ عناية بمجلة المعرفة السورية عدد جوان

1978- مجلة الإذاعة والثقافة التونسية

11- البشير بن سلامة: التفاعل بين الحضارتين البربرية والعربية (مع رأيه في اللغة الفصحى واللغة العامية)- الفكر-

فبري 1978 ص 127

12- حسين فطر: قضايا تعريب التاريخ القديم بحثا وتدرسا (ملقى ابن منظور) بلادي الثقافية - أبريل 1978 ص

17 و18

13- محمد مصموني: (مقال له حول الفصحى والعامية) الفكر - مارس 1978 ص 99

14- محمد العلاوي: (موقف) 7 -P . 12 Novembre 1978 La presse

15- Jaafar Majed La presse litteraire en Tunisie de 1904 q 1955 Publications

16- علي حريريت: (مقال عن محمد البشروشي) - مجلة انواء- عدد2- نوفمبر 1994 (تعبئة حمسينية وفاء البشروشي)

17- Henriette Pavis d escurac. Apulee Rheteur Africain de la province

romaine. In les affricains n 52-edition jeune afrique paris 1977 p 46 a 73

هذا المقال كان هو المصدر الأساسي لدراسة الأستاذ د. عمار المحوي التي نشرها عن أبيلي بدائرة المعارف التونسية

الكرنيس عدد 2- 1991- من ص 10 إلى ص 21

andre mandouse saint augustin in les afrcins edition jeune afrique... - 18

Pierre villemain confessions de numida 1 innoee de saint au gustin - 19

Editions de paris.1957-Paris- 257 pages

Henri Marrou saint augustin et L. augustinisme-20

Edit du seuil les maitre spirituels-1955et 1962-192 pages

H. petit mangin histoire sommaire illustree de la litterature Latine -21

j de gigord editeur paris 1936-200 pages

G. Hacquard j Dautry et o Maisani Guide romain antique classiques -23

Hachette Paris-1952-1964-225pages

المراجع:

1- نشأة المذاهب واحتلالها (في المسيحية) ولما تريد الآن دراسة هاته المذاهب وذلك ما سنقدم له فصلا آخر إن شاء

الله (ص 277) - كتاب سلامة

2- انظر مقال البشروشي : وجوب العناية بتاريخنا (سلامة ص 382-383) الزهرة عدد 10557 ص 58-1 ماي

1944 وفي تنويه من Monceaux في الذكرى الثالثة لوفاته (1941)

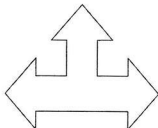
3- كما ترجم كتابات مشاهير المؤرخين والجغرافيين اليونان واللاتين عن ليبيا القديمة

4- كان البشروشي قد التقى على أمواج الأثير، الإقافة التونسية سلسلة حلقات حول نفس الموضوع : الأدب التونسي

قبل الإسلام قبل أن ينشرها بالعالم الأدي وبالزمان (انظر : سلامة ص 55)

5- لمزيد التدقيق، أنظر ماخذ محمد المادي المطوي واستنراكاتة حول كتاب عبد الحميد سلامة مجلة الحياة الثقافية سنة

1982 حول كتاب محمد البشروشي حياته وآثاره من ص 106 إلى 113.



دور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في حماية البيئة

بقلم : لمياء جنتات

يقول المثل الصيني: "عندما توجد اختراعات خادعة سوف توجد نتائج مأكرة". تشير أغلب العمليات والتوقعات الاستشرافية إلى حدوث تغيرات عميقة وهائلة في أنماط الحياة وأساليب الإنتاج وهو تغير لن يمر مرور الكرام على العلاقات الاجتماعية والتركيبات الطبقية إذ أن ملامح حضارة إنسانية جديدة باتت بارزة للعيان... ولكن إلى أين نحملنا هذه المعرفة وهذا الطموح المغرور؟ وإلى أين يجبرنا أصحاب المؤسسات والصناعيون ورؤساء الأموال؟ وهل ستصمد الطبيعة بمواردها والبيئة بعناصرها ما لم نحسن استعمال الموارد المعرفية؟ أسئلة كثيرة مقلقة.

الكتابات كثيرة عن إمكانيات التطور التقني المذهل وإذا كان العلماء لا يرون مانعا من تحقيق المستحيل ذاته في المستقبل فالعالم أصبح قرية تتحكم فيها سوق ألكترونية أشبه بتواصل عنكبوت تنتقل فيه الأخبار المعلوماتية بسرعة أقوى وأقصر من حركة الضوء وأصبح التحدي الذي يواجهه العالم في ظلّ حمى التطور الصناعي هو : كيف السبيل لخلق توازن بين الحفاظ على العناصر البيئية

والتطور المذهل على كل المستويات ؟

وبين هذا وذاك تنظر العولمة شزرا إلى من يهدّد مصالحها والعولمة في أبسط تعريفاتها رغم صعوبة حصر مفهومها نظرا لتعدّد جوانب النظر إليها هي ما يأتي من العالم في مقابل ماهو محلي وإذن لا تخفى أبعاد العولمة إذ لا يمكن أن نكتفي بالربح والتجارة الحرة لأنّ أعناق أحلامها مشرّبة إلى الآفاق وتلك معضلة الطّموح الأعمى !

إنّ التطوّر التقني غير المنضبط بموانع يهمل في مرحلة أولى الحق البيئي فأنقيه واستمع إلى ما يقوله علماء الجيولوجيا عن الغلاف الجوي المحيط بالأرض إلى حدّ أصبح يشكّل بالفعل تهديدا لمستقبل البشرية والشأن نفسه يقال عن الهواء الذي نتنفسه والبحار التي نحتاجها حاجتنا للهواء والماء الذي نشربه.. تهديد بأن الإستغلال المكثّف للطبيعة واستهلاك فضائهما من قبل التكنولوجيا العصرية ينذر بالكارثة وتلك الأسباب الكامنة وراء التغيّرات المفاجئة للمناخ ووراء تراجع المساحات الخضراء Les espaces Vertes تلك التي تمثّل رئة كوكب الأرض.

الثروة المائية في تراجع :

أدّى استخراج المياه الجوفية وكذلك تلوث الجو في حدّ ذاته إلى نقص الثروات المائية أو إلى تلوثها فمن منا كان يصدّق بمجرّد التصديق بأنّ نهر "القانج" مهد الحضارة الصينية سيأتي يوم تنخفض

فيه مياهه كلّ سنة حارما المزارعين من مياه الريّ والأمر نفسه بالنسبة إلى نهر النيل الذي ضعفت نسبة تدفق المياه فيه .

تقلّص المساحات الخضراء :

لا بدّ أن ندفع ثمنا باهضا مقابل التوسّع والاستغلال للمساحات الخضراء وشقّ الغابات بطرق لتيّارات تحمل المزيد من التلوّث ولما كانت المساحات الخضراء فضاء للتنوّع البيولوجي فإنّ الموقفين الاقتصادي والبيئي يقفان على طرفي نقيض: فعلماء البيئة وأنصارها يرون أن حرق الوقود يؤدي بالضرورة إلى قذف كميات متزايدة من غاز الكربون في الفضاء ممّا يشوّش سير حياة البيئة ومن ذلك تتأتى الإعصارات والفضاءات والرياح العاتية وغيرها من مظاهر غضب الطبيعة وهو مصطلح بالفعل يؤدي المعنى المقصود إذ تشير الإحصائيات أنّه خلال السنوات العشر الماضية على الأقل عرف المحيط الجليدي الشمالي تقلّصا في سماكته كما أنّ سواحل جريلاند مهدّدة بالذوبان وإذا تمّ ذلك بالفعل فإنّ مياهه سوف تؤدي إلى غرق المدن الساحلية في جميع أنحاء العالم كما قد يساهم التلوّث الهوائي البيئي الناجم عن التجارب الكيميائية إلى التشريع في وقوع تلك الأحداث، أمّا الخطر المباشر الذي تحقّقه الحرارة غير العادية فهو أنّ ذوبان الجليد قد يؤدي إلى ارتفاع سطح الماء وهذا لن يمرّ بسلام ما لم تبتلع البحار عديد الدّول فضلا عن تسرّب المياه المالحة

إلى المياه الجوفية ولكن لا أحد يستطيع حسم هذا الإشكال ،
فرجال الاقتصاد يرون أنّ النموّ مطّرد سنة بعد سنة بل يوماً بعد
آخر ! فلا شيء يحول دون ذلك ما دام العالم قرية صغيرة تحكمها
علاقات عنكبوتية من المصالح المتداخلة المتفاوتة وهو ما يعجّل
بالرّفع من مستوى المعيشة إلى مستوى يفوق المأمول.

وعلى الطرف الآخر يعتبر البيئيون أنّ كلّ شيء طبيعي وقابل
للفاذا من ماء ومساحات خضراء وثروات باطنية ومعادن نتيجة
الاستغلال المفرط للمحيط الطبيعي...

أين القوانين الدولية ؟

أختم بهذا الاستفهام لأذكر أنّ لا شيء وضع حدّاً لغطرسة
القوى الاقتصادية ولا مانع حال دون أولئك الطامحين بترف أكبر
وحقّ الإنسان في بيئة سليمة إلّا فأين هؤلاء المتجاوزين من اتفاقية
كيوتو المانعة لتسرّب الغازات الشامة والحفاظة للبيئة من كلّ
التأثيرات السلبية؟ أين العقل الإنساني من كلّ ما يحدث ؟

وهل لا يتوقع هذا العقل أن تنقلب وداعة الطبيعة باعتبارها
حامي حياة الإنسان ووجوده إلى طرف منهار غير قادر على حماية
نفسه ؟

أسئلة كثيرة تدهمنا تعلن كلّها أنّ البيئة تضرّرت وأنّ أمارات
التضرّر تعلن في كلّ عنصر من عناصر الطبيعة أنّ الإنسان بلا عقل

العالم الرقمي :

نعتني اليوم في هذه الصفحة بمسألتين الأولى التعريف بالأنترنات الفضائية والثانية علاقة المهرجانات التونسية بالأنترنات...

الأنترنات الفضائية :

تعرف الأنترنات الفضائية بأنها تقنية تستعمل معيار D.V.B.S وتكتسب نوعين من الارتباطات هما على التوالي : 1- عبر الأقمار الصناعية و 2- عبر الهاتف العادي.

ونشير في البداية إلى أن الأنترنات الفضائية تشهد إقبالا مكثفا في الأوساط التربوية لأسباب اقتصادية بخطة كما سنعرف بعد حين.

المزايا :

<http://ArchiveBeta.Sakhrir.com>

1- هي حلّ اقتصادي ناجع لأن تكلفتها غير باهضة بالمرّة ولذلك كما أشرنا يتمّ التعويل على هذه التقنية في المؤسسات التربوية في تونس .

2- ثمّ أنّها من حيث المعدّات فتكلفتها رخيصة.

3- أمّا السبب الثالث والأخير فهو أن استعمال الأنترنات متاح وسهل.

السّليات:

يحتاج المستعمل للأنترنات الفضائية إلى مزوّد خدمات أنترنات

أرضي لإرسال البيانات.

2 - كما يحتاج المستعمل -وهي حاجة سهل توفيرها- إلى خطّ هاتفي .

3- أخطر ما في هذه التقنية هو أنّ الإرتباط غير مستقرّ

حضور الأنترنت في المهرجانات:

- لو رجعنا إلى الوراء بضع سنوات معدودة لما لفينا أية علاقة بين المهرجانات التونسية والأنترنت لكن مع هذه التحوّلات المذهلة في كلّ شيء أصبح لكلّ مهرجاناتنا التونسية مواقع على شبكة الأنترنت وهذا مهمّ -بل مطلوب- ونحن تجاوزنا الموسمية في المهرجانات وفي عملية تقوم بسيطة نقول إنّ المواقع التونسية الخاصة بالمهرجانات التونسية جذابة وتعطف الاهتمام وهي لذلك مغرية لأنها ثرية بمعلومات وغنية ببرامج تحتوي الدورات السابقة وهي معطيات مرفوقة بنصوص تفصيلية وبصور على سبيل الأرشيف رغم أنه يعاب على هذه المواقع غياب التوازن بين اللغة العربية واللغتين الفرنسية والانقليزية إذ أنه من شروط نجاح الموقع - حسب رأينا- فرض اللّغة الأم على زائر الموقع وإرفاق النص الأصلي بترجمة أنقليزية أو فرنسية .

لك المجد

شعر : سالم المساهلي

لم تكني هناك ...

وكان الجوى ..

ومسغبت في العيون ..

تخلق في الموعده المنكسر .

*** **

لم تكني هناك ..
وكنيت ،
ARCHIVE
<http://Archive.Sakhrit.com>

بكف الزمان، مضياً

بشوقي ..

نيا يرى الوعد آينه ..

إذا شف فيه الغرام

وحمر السفس .

*** **

تنزلت حبا وأبا
وفي صفحي المعجزات
سرايا .. سرايا ..
وظلت جمع الخطاطيف ..
في حضرتي ..
ومن "حضرتي"،
تولف أحلامها في الوفا،

وترد كني بين حين وحين،
بأسئلة ..
<http://Archive.net.Sakhrit.com>

عن الموعد المنتظر.

*** **

وكان الطريق طويلا .. طويلا ..
وكان الزمان .. ثقila .. ثقila ..
ووجه السماء ...
كحلهم تبخر .. ثم اندثر.

*** **

فكيف أميز بيني ...

وبين الغبار المبعثر فوق الرصيف .. ؟

وكيف أسألك من يزدريني

وجسمي تسمر مثل العنادر

على كومة من حجر .. ؟

*** **

وإني لك الإغفار ..

وأنت أطحت بعرش الخيال

وأسقطت كوكبة الطيطوات

شظايا بدريني .. ؟

وقطرت وهج النجوم صقعا،

بساح البصر ؟

*** **

لك المجد ..

إن أعلنك اللغات ..

وإن ساءلك الليالي ..

لك العذر ..

إذا هزني الشوق يوماً

لذكرى خطاك ..

تراقصني كالقطاة صباحاً

وتهجرني في السحر ..

كما أنه هناك الكثير من الملوك في تونس من لم يفتوا على مواقفهم ومن باعوا تونس وقضيتها بالثمن الزهيد وكانوا فيها من الزاهدين، وعاش الشعب تحت هيمنة الاستعمار ثلاثة أرباع القرن... ولكن إرادة هذا الشعب كانت هي الأقوى... وإرادة الشعب قبل من إرادة الله... وإرادة الله لا تقهر ولا تغلب، وبفضل النضال والاستماتة وحكمة القيادة التحريرية كان له ما غناه وعمل من أجله إلى أن أخرج للمستعمر الفرنسي من البلاد وتحصل على الاستقلال التام وأنجز ما نادى به الشعب في مظاهرات 9 أبريل 1938 "برلمان تونسي"، وما إن نالت تونس استقلالها في 20 مارس 1956 حتى بادرت بعد 125 يوماً فقط من تأسيس دستور قائم الذات وذلك يوم 25 جويلية 1957 انتقلت بمقتضاه صبغة البلاد من الملكية إلى الجمهورية.

ابنتي لين...

(البيط)

شعر: المنتصر العامري

الإهداء: إلى زوجتي العزيزة منال، إلى ابنتنا الغالية لين...

مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْقَلْبَ يَلِينُ وَيُرْقِصُهُ صَدَى قُدُومِهَا لِينُ
قَدْ ظَلَّ دَهْرًا كَمَا عَهْدَتِهِ زَاهِدًا فَلَا شَذَا صَبًّا، لَا هَزَّةَ لِينُ
حَتَّى اغْتَرَاهُ شُعُورٌ لَيْسَ يُذَرِّكُهُ تُرَى هَمَى الْعَيْثُ، أَمْ تَهَاطُلُ اللَّيْنُ؟!
وَذِي الْقَوَافِي بَعْدَ طُولِ هَجَرٍ غَدَّتْ تَرَقُّ وَحِينَ أَشْكُو الْوَجْدَ، تَلِينُ
أَبْثُهَا مَغْرَمًا صَهْبَانَةَ الْقَلْبِ وَأَنْظِمُ كَلِمَاتٍ كُلُّهَا لِينُ
لَوْ صَفَّ مَلَاكَ قَدْ أَتْلَحَ صَدْرِي وَجَدَّدَ عُمُرِي، صِفَاثُهُ اللَّيْنُ
فِي اسْمِهَا لِينُ، فِي جِسْمِهَا لِينُ رَقَادُهَا لِينُ، سَهَادُهَا لِينُ
الرَّقَّةَ فِيهَا حَبْلَةٌ، زَادَهَا ذَا اللَّطْفُ، فَاكْتَمَلَتْ نُعُومَةُ لِينُ
لَوْ أَرْهَقْتَنِي الْحَيَاةُ مَرَّةً أَوْ قَسَتْ فِقْبَلَةً تَكْفِي لِيَعْبِقَ اللَّيْنُ
أَعُدُّ إِلَيْهَا مُسْتَكْرًا كُلَّمَا رَأَيْتُ جَوْرًا حَوْلِي وَاخْتَفَى اللَّيْنُ
تُهْدِي رَوْعِي بِهَمْسَةٍ تَارَةً وَلَمْسَةٍ طَوْرًا فَيُشْرِقُ اللَّيْنُ
يَا أُمُّهَا الْفَرَحَى، أَسْعَدْتَنِي مَرْحَى! فَالَّذِينَ مَا أَهْدَاهُ لِي سِوَى اللَّيْنِ
شُكْرًا لِيَذُرَ قَدْ أَضَاءَ لِي قَمَرًا أَعَادَ حُلُمِي بِعَمْرِ كُلِّهِ لِينُ

نافذة من ذباب

شعر : ليث فائز الأيوبي

العراق

افتح نافذتي في الصباح على وسعها

فيخامني الذعر

من حياة العالم المتسارع

مر قعسا لا هتا

بشاهي إلى عوا الكلاب

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

جر تخا .. مهيتا

يصاحبه بوق سيارة الاسعاف

أذن المصاعد .. صافرة الشرطي

طنين الذباب - نغيب القطارات

لغط المندافع في سلم الباص

منخذ لا ياتسا

أقطلع عن فسحة للتأمل

نافذة ..

لا يبعج الذباب عليها

تنبع لصوتي .. الصراخ

بصوت طليق

أحرك كفي امام الهواء.

كي أؤكد من ميتي

أؤكد من قدامتي

ARCHIVE في انتراع صبي ودع

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يقاوم من نعشا موته

لحت أضلاف سيارة

سحقته أمامي بلا رحمة في الطريق

لخاصرتي رغبة في البكاء المررد

تفسر عجزتي إزاء استغاثته

مرغبة في الصراخ الرهيب

افضل تأجيلها مرغما

مرثما تنتهي مسرحية تدوين
أقوال من شاهدوا حادث الدهس
من نزعوا لحمه البرقالي
من تحت أنسجة العجلات البديعة
يا للبشاعة

قد ينكر أحدهم مجبرا

للقاء جردلته فوق جثته

جاءت غار غيبة للثقيف

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قد يطويع أحدهم

لاحضاز كرامرسة المدرسية

وهي ملقاة بالقرب من رأسه النبوي المعص

... لا

... أيها العالم المتآمر ضد العصفير .. سحقا

أنا الآن في حاجة

لاستعادة وعيي أمام عذاب الجريمة

في حاجة لاستعادة منظره
وهو عثقق مسجدا كالدجاجة في دمها
أنني الآن في حاجة للتطهير
للاغسل من القبي.
من قلبي إلى فروة الرأس
في حاجة



يعد طمانيتي لي !..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وما إن أحرزت تونس على الاستقلال بقيادة أبطال
وزعماء وشهداء، حتى هبّ أبناء تونس البررة يقيمون
ويؤسسون الدولة ويحتشدون في تعزيز أركانها، بالقضاء على
مخلفات الاستعمار والتعامل بذكاء ومرونة مع القضية الجزائرية
(دون اتفاقيات مسبقة) بجانب شعب الجزائر وجيش جبهة
التحرير الموجود قرب الحدود التونسية.

لبغداد ألف سلام

شعر : محبوب غانمي

الإهداء : إلى الشعب العراقي الصّامد ...

شامخاً في كلّ الأزمنة، حتّى تضمّد بغداد جراحها إلى الأبد .. !

لبابل ألف سلام

من القلب عبر القصيد

وللعائدين من السبي في آخر القرن

ألف الأمل

لماذا تظنون أنّ السلام لكلّ البشر

وبعض البشر يريدون إفناء كلّ البشر

وبغداد كالرّم قد أنقذتها الجراح

بأمر من السامري

ومرأى من الله والخلفاء

ونسل الرسول وآل عمر

وغفلة باقي العرب ؟

ولكن برغم الجراح
سيبقى العراق منيعاً أنوفاً كهام النخيل
كسرتعالى على النخل فوق القمر
لأن الفرات نزال لبعض الأساطير
كي لا يموت العراق
ودجلة مثل الدماء يفوز

ملح عبور المغول

على جس تلك الدواوين والشعر
لحو المساجد أو لحو قبر المسيح
<http://Archive.Ista.Sakhr.it.com>

وسوف تعود لنخل الخليج
نسور البلاد التي شردوها بقصف المدافع
ويفتح بشائر عينيه كي لا تمس النساء
أمام البصير بغير غزل
ويمشي التواسي في الكرخ
لحو الكروم

لنقطير بعض الخمر بكأس القصيد
ويفتح هارون باب الخوزنق
للملاحين من الشعراء
وينش بعض الجواهر في حجر كل الجوامي
وعند المساء، قيل الغروب
تقام عكاظ



لأن فناء القصيد من المسحيل
سيأتي الغزاة كما كان يأتي النحاة
لشرح بعض الكلام،
ولكن لتزويد بعض المعاني
وتدليس بعض القيم
وتدليس بعض الصور

وتهرب بعض العقول
لأن الرصاص الذي أطلقوه
يصيب جريد النخيل
وتبقى الجذور لسقي القصيد .
سنبقى البلاد كما لا تحب الأعادي
خيلاً طويلاً وظلاً ظليلاً

وحلماً جيلاً

وقد اقتنع الزعيم بورقية وقراً ما في السطور وما في الصدور
إن بقاء النظام الملكي في بلادنا لا يساهم في دفع عجلة التقدم
والرقي ولا ينفع البلاد والعباد في جعل تونس بلداً متطوراً
موكباً للحدثة، لأن الملكية ارتبطت بسوء التصرف ونهب
أموال الدولة والتهاون في خدمة الشعب لأنهم كانوا حكاماً من
غير كفاءة ولا دراية بشؤون الحكم علاوة على غياب تجذر
البايات في الانتماء للوطن إضافة إلى دسائس آخر البايات محمد
الأمين للملك الشهيد محمد المنصف باي كي يخلعه عن العرش.

"طبيه" ما بين النيل والفرات .. !

شعر : محمد الزينو سلوم

(سوريا)

يا نيل " قد هيّجت أشحاني
كان الفرات يطير بي ألقا
عاد الصهيل بهزّ قافيتي
عاشق "طيبا" وكم قاسيت من شجن
ذكّرتني أهلي وأوطاني
واليوم أزكى فيض وجداني
فيما سبق الأمواج تخناني
هلا استمعت لبعض أشحاني ؟
أنا شاعر و الشعر أدبني
فطويت في جنبه أحزاني
لكنها النجوى تعاودني
مصر التي بالحب تجمعنا
فيها "كباري النيل" عامرة
يأتي إليها الكلّ من أرق
يلقى بحضنك كلّ عاطفة
متوسّما خيرا ومرحمة
أما أنا فالشوق يرحل بي
للشام حيث الشام تحياني

وأردد الأشعار ، أغزلها
أهدي إليها جلّ الحاني
"من قاسيون أطلّ يا وطني"
يزداد في لقياه إيماني
يا نيل جئت إليك متقدّا
أطفأت في لقياك نيرانني
لو كان في أمري زرعت هنا
وغرست في جنبيك عنوانني
لكنني يا نيل لي وطن
يشتاقي، ألقاه، يلقاني
إنّي أحبكمَا وذا قدري
أحياكمَا، والحبّ يغشاني
حتى وبعد الموت تلقاني
يا نيل أحلم باللقا ثاني
أما الفرات فذاك أعشقه
وأهيم عند ضفافه هاني
"طيبا" تعود اليوم تسألني
ماذا ؟ وأغرق عند شطاني
حلب التي أحيا بها ألقا
فيها أحبائي وخلّاني
ألقي بها "طيبا" فترحل بي
للنيل، حيث الشوق أضاني
لا تخدعوا فالشعر تهويم
ما بين تخييل وبهتان
"طيبا الحجاز" اليوم تؤثرني
روحي بها.. سأزورها ثاني

أوقظ لعينيك أغنيتي

شعر : جواد الزبيدي

ذات مساء

أسندت الفراشات بالندى

أشبح بوجهي

عن تباريح صمك

أوقظ لعينيك أغنيتي

كي أهب الدموع أبلك أيامي بذاكرة

فأوت زمانا

على أقدام المعرات

*** ** *

هواي معلق بأطراف الجداول

وروحني حمامة

خلف أسوار الكلام

أرحل عن ممالك

مفتول صبحي

جنوب القلب

لا خجلا ..

أمكث

في درب الآتين

أرمر زوايا القلب

كفي تسع لغتاً أخرى للحب

ARCHIVE

<http://archive.hana.sakhril.com>

*** **

ذات مساء

أحصيت خيالي

أصل الثالثة

بعد هدير العن

أعود ..

أرمر روجي ثانية

أشبهيك
لأيامي الراحلات
تحقق الآهات بالحلم
وحين نكون معا
أعدك
خيمة أخرى

بدأ الزعيم منذ توليه رئاسة الوزراء في الحكومة يقلص من صلاحيات الباي، من ذلك إصداره أوامر "علية" منها أمر يتعلق بضبط حقوق وواجبات أعضاء الأسرة الحسينية المالكة، وقد تم بمقتضاه إلغاء جميع الامتيازات والاعفاءات والحصانات المعترف بها لأفراد العائلة الحسينية، والصادر في 31 ماي 1956، ومنها الأمر المتعلق بتنظيم السلطة، العمومية، وقد سحب من الباي السلطة الترتيبية لفائدة الوزير الأكبر (بورقية) وهكذا سار الأمر تدريجيا في تقليص نفوذ الباي والملكية حتى جاء اليوم الموعود يوم إعلان الجمهورية في يوم الخميس 25 جويلية 1957 حيث أجمع فيه النواب على تعداد مساوئ نظام البايات وألحوا على إقامة النظام الجمهوري، تكون فيه السلطة للشعب.

أمّاه

شعر : حياة الخنشي

إليك أمّاه أخطباً نامل خترق

وبفؤاد ..

بل جمر يشعل

أمّاه ... أعلنت اللغة فشنها وتبرجت

وفرح عالمي من حولي

وأنابقاً بالشمع حزّين

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

بنلاشي وبلا

أمّاه أنت مدبّنتي ،

وكل الملائن سواك سجون

يا وقري، يا لحن العمر الجميل

قلت لا للامر

ولكن الوجع خلداني

تكاثر وخراته وازداد عطبي

أما .. لقد جفت دموعي

لكن جرحي مازال يتزف

كيف أضمد

وأنت من كنت تضمدين جرحي ؟؟

أما ... لقد مزقتني الشمس

وما عدت أذكر

ما الفرق بين الموت والحياة

أيا حبيبي ... زمن يني وينك

كانه بالأمس كان

بل الآن أودعك

آه !! كنت أريدك ..

ولو عتي أكبر من أحرفي ؟؟

نوّار القمح

بقلم : رضا البركاتي

إِنَّا نَحْبُ الْوَرْدَ لَكِنَّا نَحْبُ الْقَمْحَ أَكْثَرَ

ب . نيرودا

امتطى دراجته النارية وخرج من القرية متجها جنوبا، يخطّ طريقه عبر المسالك الريفية يلقه ضحيج أصم يصدره محرك دار "المويلات" الذي بدأت قطعه تتأكل وتصطك الآن بانتظام الحفر والتتوءات المتلاحقة راسمة شريط "ميشلان". إنه أثر جرار عملاق مرّ من هنا بعد غسالة النواذر ولما طلعت شمس الزمان وأهبت الثنية بحرارها كان شريط "ميشلان" هذا الذي يركض عليه بدراجته المهلهلة.

وانقطعت إيقاعات طبق المحرك وفرقعات سلسلته بانتظام الحفر والتتوءات لتثبت ميزان هدير المحرك الذي لم يكسر سكون الصباح ولم يبدد ضبابه بل انسجم تماما مع هدير الخريف الأصم وتناسق مع هديره-هو- الداخلي ليؤلفوا جميعا سمفونية متكاملة تحكي حكاية المسالك الوعرة.

وفاض مع جوارحه نواح ناي تزف آهاته من جروح دفينه وتحملها نسمة الصباح لتتمسّح على الأرض علّها تعانق زهرة فلا تجد إلا الأشواك تخدشها، تمزّقها، تحوّلها على صفيح جاف حاد كفحيح الأفاعي.

ويرتد إليه نواحه يتقاطر سماء مذبوغا بالوحشة ملتحقا بالظلام.
ولفّ شملا مع إحدى الثنايا فقابلته الشمس مطلة من وراء الهضاب
الواطئة ملتحفة بحرير الضباب وسرحت عيناه مع الأرض الممتدة امامه
بالعرض ناشرة جسدها للشمس فرأى بسمة القبله الصباحية وعبّ من
نسمتها فاستيقظت حواسه.

لقد استيقظ تعباً مدمراً الحواس. بات يبحث عن زهرة، عن وردة،
عن شيء جميل وبسيط، عن شيء يحبه الأطفال. بات يبحث عن زهرة
تزهّر آماله. بات يبحث هائما في ليل غربته ويده مصباحه النفطي
مفتشا كل الزوايا وكل الخبايا عارضا صدره الرحب لزهرة صغيرة،
لوردة حزينة يحضنها.

وتأمل الأرض المنبسطة، المخططة، الحارية امام ناظره. ركّز النظر
فيها، في شقوقها وبدء الأفق يتقلص ويرتد إليه حتى صارت كما الكف
امامه بل هي كفّ جذّته. هذه الأصابع الغليظة الطويلة ممتدة متلاصقة
امامه وهذه راحة الكف محفورة بخطوط الحظّ والحياة والحبّ والإنجاب
والصحة. وتأمل كفّ الجدّة مليا فترأت له عذابات الماضي ومآسيه
واستمع إلى أنفاس الحاضر المتوجسة المرتكبة واشتمّ بعض رحيق الزهرة
القادمة.

هذه الثنية تصعد الآن والدراجة التي كانت تركض استحبال هديرها
إلى أزيز أبغ متواصل يعبر عن مجهود جدّي تبذله لتسلّق العقبة.
والتحمت اجزاء المحرك وتناسقت بعد أن كانت مصطكة بعضها بعضا.

وهاهو الآن يدخل المسلك الذي يحزم ربوة سيدي محمد الغريب المتربع على القمة بزوايته المقيّبة وعلى اليسار في الأسفل يمتدّ سهل خصيب تربعت وسطه ضيعة السيد "فرانسوا" الملفوفة في باقة من شجر الكالاتوس وقد كف عن نفث الدخان من زمان فلاحت كقصور الغيلان والأرواح الشريرة.

وشدّ على المقود بقوة وتقوس ظهره على الأمام وكأنّه يدفع الدراجة ويعينها على صعود ارض البياضة موطن الربوع محاولا تلافي الحجارة المفتتة والاشواك التي قذفت بها الريح على وسط الطريق من شجيرات ونباتات بائسة منتشرة على وجه الربوة العابس لا تثمر إلا هذه الأشواك لتساهم بها في تخريب عجلاته.

ثم ضاقت انفاس المحرك واحتققت فتزل عن الدراجة وراح يدفعها على جانبها متسلقا الربوة بصعوبة وعناء. وتناهى على سمعه لغط منبعث من أعلى الربوة الجرداء، لغط آت من زاوية سيدي محمد الغريب يتخلله نباح كلب هزيل فعلم دون أن يرفع رأسه ليستجلي الأمر أنّها الاستعدادات للزردة... وخرجت من ضيعة السيد "فرانسوا" - وحدة "الاجتهاد" - جد مجتهدة.

وعلا الآن القرص الشمسي فتبين وجه الأرض على حقيقته الخريفية وانزاحت عنها مسحة الحزن الصباحية وصارت وحشة طبيعة الفصل تعبر عن غمة الموت الذي يحضن في طياته بذور الحياة الجديدة. صار يلهث . أتعبته الدراجة وقطع نفسه المسلك الوعر. وبدأت

حبيبات عرق ترشح على ظهره تحت القميص. وبلغ رأس العقبة فأوقف الدراجة ووقف يردّ النفس فلاحته له المدرسة هناك في الأسفل وراء الربوة وسط الحقول الغبراء بقاعاتها المتلاصقة وكأنها قطع سكر على طاولة خشبية.

امتطى دراجته وانطلق في المنحدر ودارت العجلات بسرعة تجاوزت قوة المحرك فأحس انه يطير من فرط السرعة وان ذلك ليس من فعل المنحدر بل اشعت صورة الأطفال كالكقطب المغنطيسي وجذبتة عليها بقوة خارقة... ولكن قلبه سرعان ما انقبض لما تذكر مرة أخرى موضوع درس التصوير الذي لم يحسمه بعد.

لقد سئم كل الرسوم والتصاویر التي رآها عند الأطفال أو معلقة على جدران الاقسام بأغلب المدارس التي يعرف كره الرمانة التي ترسم بحجم حقة حلوى الشامية أو تلون بالأحمر مع تاج ملكي صغير. سئم الفئران الميكانيكية التي تطلع مذعورة من زوايا ورقة التصوير بشكل مثلثات صغيرة تجر وراءها ذيولا شبيهة بصغار الثعابين أو تقف بسداجة امام القط الواجم المتكور إذ تعبّر عنه دائرتان تعلو اعلاهما اذان حادثان ... لقد تملكه شعور غريب عندما طلب من الاطفال في الأسبوع الفارط أن يرسوا ما يحلو لهم بعد أن كتب على السبورة: الموضوع : "رسم حر".

وهو يتحول بين الصفوف دهمه إحساس قوي وغامض اقتلعه من القسم وألقى به في أرض عذراء لم تدنسها أقدام موقعة الخطوات ولا

حوافز خيل مسرحية ولا عجلات سيارات مسيحة النوافذ توقفت الساعة وسقط في زمن طفولي لا يعرف التاريخ الميلادي ولا المحجري.

غطس الأطفال في الصفحات البيضاء وراحوا ينشئون رسماً واحداً ليس يدري عن أي فنان موهوب ورثوه. هذا يونس يركز بيتاً وسط الورقة ويصفف فوقه قرميدا أحمر. وهذه هادية تلون الأبواب والنوافذ بالأزرق. ويمرّ بين الصفوف شارد الذهن ويواصل الأطفال الرسم وتكامل الصورة مرحلة مرحلة. هذه عتبة البيت تنزل في دراجات طويلة متلاحقة تصل بك إلى حافة الجدول فيذب كرم وهو يمرذر القلم الأزرق من اليمين على الشمال ومن الشمال على اليمين على امتداد الساحة البيضاء فيمتلي الجدول ماء صافيا تنبت حوله زهرات منظمة تنظيماً هندسياً وهي تنضج بألوان قوس قزح. ويرفل وراء الزهرات طاووس مزهواً ويوقف طفل بين المنزل والجدول - الكوثر وإلى جانبه طفلة مثلثة الشكل كالآلهة طانيت تنثر الحب لزوج حمام.

ليس يدري لماذا كان يشعر بالانقباض وهو يطوف بين الأطفال الساهمين وهم يؤسسون حلمهم بألوان زاهية. انفتح بين الضلعين جرح لم يتدمل لما شاهد يونس قد أمال رأسه وأخرج لسانه وهام بخلق جنته معتنيا بأدق أجزائها فطلعت على القسم في بماء وصفاء كأحلام المحرومين.

وفجأة مرقت من شماله كميونة سي عبد الجليل وتجاوزته وسط غلبوب من الغبار وعياط سي عبد الجليل وهو ينفض يديه راسماً في

الفضاء علامات الاستتكار. وعادت كميونة سي عبد الجليل إلى وسط
الثنية بعد أن كادت تخرج إلى الحقل المجاور.

ملعون انت، أنت ملعون لماذا تأخذني هكذا دوما على غفلة مني عبر
مناهات لا أجي منها إلا المتاعب والأشواك؟ وهل تظن أن سي عبد
الجليل سيصدقني عندما أقول له بكل بساطة "والله لقد سرح بالي ولم
أشعر بك إلا عندما رأيت الكميونة بجاني". عندها سيحدثني سي عبد
الجليل المدير لقمة سائغة. سيحدها من اللجنة والناس هذه المرة وسيكون
صاحب الموقف سيمطط الحكاية إلا ما لا نهاية، ويعطيها أبعادا لا
حدود لها. نعم هذه فرصته لقد كنت دوما اهزمه في النقاشات
البيداغوجية. هذا ما يشعر به سي عبد الجليل أما أنا فكنت دائما لا
اقصد الإساءة إليه وعلى سمعته المصطنعة غدا لا يعني ذلك في شيء.

لماذا أنت هائم هكذا استراح مع البسط الأشياء وتبحث لكل ظاهرة
عن العلة وبنت العلة والطبيب الصقلي بماذا مات. ألا تنتبه على مخاطر
هذه الطريق الوعرة؟ أنا لا أريد أن تتطور المشاكل أكثر مما تفاقمت مع
إنسان اعند من حجرة سيزيف تبين له بالباء والتاء وبالحة والمنطق
مستعملا معه أسلوب التدرج والترابط العلمي واحد مع واحد يساوي
اثنين ولما تصل به على بيت القصيد بعد أن تكون قد استوفيت كل
البراهين وكل وسائل الاقناع وقد استعرضت كل المبادئ البيداغوجية
وأصول علوم التربية وعلم نفس الأطفال... تظن أنك ربحت الجولة
موكبته في صفك كيف لا وأنت لم تمر من حلقة على حلقة من سلسلة

تحليلك البيداغوجي وحججك العلمية إلا بموافقتك، عندها، أي عندما تصل به إلى بيت القصيد يعود بك على نفس الملزومة المألوفة ويطلب يذاتك بنفس الكلمات المعهودة ويعيد على مسامع كل الزملاء حكاية هذه المدرسة وكيف دخلها بقاعة واحدة وأشرف على بنائها وكيف حشر فيها كل أطفال المداشر المجاورة وقد أتوا من كل فجّ بأعمار كتفوتة وأنوف سائلة وأقدام حافية وكيف أثمرت جهوده بعد أن مرت عليه أجيال بأن انتج ممرضة ومعلمين اثنين ومستكثبا بإدارة الفلاحة وحتى حارس المدرسة من الذي علّمه وربّاه وكوّنه؟ وعندها ينادي الطاهر المسّح ليكون شاهدا على أقواله التي يرسم مراحل فضاله الطويل... هذه المرّة سيقول إنني تعمّدت مضايقتك في الثنيّة وأن هذه العملية شكل من أشكال التحدي لشخصه المتعدد المسؤوليات.

كيف يمكن أن نتخلص من هذا الاتهام الركيك نظّر بل كيف يمكن أن أتحمّل بلادته التي ستمطط وستمطط لتملأ كلّ الحصّة الصباحية وينتهز معلّم الفرنسية "سي علي بالسّوري" الفرصة ليلوك معه الحديث ويجعله يقلب الموضوع من كل جوانبه ويدرس أبعاده ومراميّه، وحديثهما ذو شجون خاصة إذا أتخفهم الطاهر المسّح بكأس شاي صباحي وهو لا يخلع عليهما به في مثل هذه المناسبات.

إنها فرصة سي علي بالسّوري ليتخلص من برودة قسمه الذي خلّف له بعض الرّوماتبزم في المفاصل الذهنية، سيقضيّ الحصّة الصباحيّة في رواق المدرسة يتمطّي كالقط مستمتعا بكل لحظة من لحظات البطالة

متلئذا بكسله مع تلمظ كل رشفة شاي.

أوقف الدراجة في ظل الزيتون العتيقة الفاصلة بين الأقسام ومكتب المدير، وتوجه نحو سي عبد الجليل وسي علي بالسوري الواقفين أمام المكتب. حيّاهما بأدب. فردّ عليه سي علي بالسوري التحية وقد خنق ابتسامة خبيثة صفراء في زاوية شفّته الرقيقتين وأشاح عنه سي عبد الجليل بنظره والتفت يحدّق إلى ديك في ركن الساحة راح ينبش الزبالة بنشاط مثيرا غبارا قدرا وروائح كريهة... هكذا يفعل سي عبد الجليل دائما... يعرض عن الكلام في البداية ويرفض الحوار ثم يدحض الأرض بأقدامه وينطلق كما ثور المصارعة داخل الحلبة.

عند ذاك وصل الطاهر المسح ويده طبق قد توغّر وسطه برّاد شاي كالشيخ القابع ملفوفا في برنسه ومعه كأسا شاي نظيفين وبرجين من الخبز المبسّس قد افترشا ورقة ملونة.

وضع الطاهر المسح الطبق في نافذة مكتب المدير فشدّ الطبق عينيه - هو- وراح ينظر ويتفحّص إنّه يعرف هذا الرسم. دقّ النظر في الزرقة الملونة فإذا هي حنّة يونس الصغير.

الجدول ممتد أمام الضيعة والأزهار وزوج الحمام قد رفسهما الخبز المبسّس وسرحت بقع الزيت مع الورقة العطشى ولوثت مدخل المتزل وبقي الطاووس مزهوا بريشه...
خاطبه الطاهر المسح فلم ينتبه له.

وانتفض كالملدوغ وتوجه إلى قسمه بخطوات غاضبية سريعة ثابتة.

دخل عليه يونس الصغير وحيّاه تحية الصباح ثم تردد لحظة وتقدم خطوة وقال : "سيدي لقد سألتنا عن الأشياء التي نحبّ ونحبّ ان نرسم في حصّة التصوير... وأنا ترددت كثيرا ولم أقل لك ولكني جلبتها اليوم".

رفع رأسه وسأله بلهفة : "ماهي ؟ أين هي ؟؟"

- إنها في شباك القسم يا سيدي .

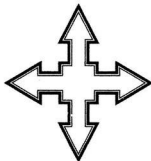
وعاد يونس الصغير رافعا كما الراية سجّادا مظفورا بتناسق وتناظر من سنابل القمح الشمسية وقد أرخت رموشها السوداء في جلال وهاء.

- هل أعجبتك يا سيدي ؟

... إني أحبّها... ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhrit.com ... إنها جميلة ...

في الليل انظر إليها طويلا طويلا على ضوء المصباح الذي ينيرها.
إنها أبهى من القمر .



ندوة الثقافة والوفاء

متابعة : عمر عبد الله الكثراري

تحت سامي إشراف سيادة الرئيس زين العابدين بن علي وفي الحضر الدافئ للتجمع الدستوري الديمقراطي التأم شمل المثقفين والمبدعين يومي الجمعة 30 نوفمبر والسبت 1 ديسمبر 2007 في ندوة تحت شعار "المثقف ورهانات المرحلة القادمة" .

وقد دعي لهذا الملتقى مشاركون من كل الجهات ومن كل الأنماط الثقافية والإبداعية مما رفع من تمثيله إلى أعلى الدرجات بحيث احتلظ فيه الجامعي بالمرحلي والموسمي والسينمائي والشاعر والأديب والتشكيلي والإعلامي وما إلى ذلك من ضروب الإنتاج الفكري واليدوي والصوتي والتقني.

افتتح اشغال هذه الندوة الدكتور الهادي مهني الأمين العام للتجمع الدستوري الديمقراطي واختتمها الدكتور محمد العزيز بن عاشور وزير الثقافة والحفاظة على التراث وهو ما ساهم في جعلها حدثا وطنيا بارزا حبذا لو نال أكثر حظوة في التعريف به إعلاميا وتناول أبعاده ومضامينه بجرأة وعمق.

انقسم المشاركون إلى خمس ورشات تناولت بالدرس والتحليل الموضوعات الآتية:

- 1- الاستراتيجية الثقافية في خطاب سيادة الرئيس زين العابدين بن علي بمناسبة الذكرى العشرين للتحوّل .
- 2- دور المثقف في ترسيخ الخيارات الحضارية لتونس التغير .
- 3- المثقف التجمعي والعمل الحزبي .
- 4- دور المثقف في مزيد تنمية الثقافة الوطنية وتوسيع إشعاعها .
- 5- المثقف وصورة تونس في الخارج

وقد أديرت مداولات هذه الورشات بكفاءة من كلّوا بهذه المهمة فكان التحليل وكانت التوصيات للارتقاء بالعمل الثقافي إلى المراتب التي يطمح إليها الجميع بدعم سخي من راعي الثقافة والمثقفين سيادة الرئيس زين العابدين بن علي الذي كان لمختلف القرارات التي خصّ بها الميدان الثقافي طيلة السنوات العشرين للتغير وخاصة ما ورد في خطابه بمناسبة الذكرى العشرين للتحوّل أطيّب الأثر في النفوس وقد عبّر كلّ المشاركين في الندوة عن شكرهم وامتنانهم لسيادة الرئيس وعلى تفاعلهم الإيجابي مع قراراته وسخي عطائه.

انتهت أعمال الورشات إلى تقارير قدّمت فقرئت فنوقشت فأخصبت ثم صيغت في تقرير عام تلي في خاتمة أشغال الندوة تلاه "بيان الوفاء" ثم برقية إلى سيادة الرئيس تضمّنت شكر الحاضرين له وثنائهم وعرفانهم بالجميل ومناشدته الترشّح للانتخابات الرئاسية 2009 حتى يواصل هذه المسيرة المظفّرة فيتحقق للتونسيين المزيد من

الرقى وللثقافة المزيد من المكاسب.

كانت هذه بادرة طيبة ماذا لو تكررت وطنيا وتواصلت جهويا فتكون قاعدة المشاركين اعرض. وكان لتنظيم الندوة وتسييرها أثر طيب على نجاحها رغم بعض الملاحظات التي تليها من باب الإفادة رغبة في التجويد:

- الإفراط في التسيير ودعوة بعض المتدخلين إلى عدم "الخروج عن الموضوع" فالحضور ليسوا في مدرج جامعة والمتدخلون مبدعون ليس في الإبداع بعض "الخروج عن الموضوع"؟

- الانتقائية في تعيين المتدخلين وكأن الوجوه المألوفة هي التي تحسن التدخل والتعبير.

في الختام لا يسعنا إلا أن نشي على من سهر على هذه الندوة فكرة وإعدادا وتنظيما وإنجازا وعلى درب الثقافة نلتقي وبفعلها نسمو وبريها نجيا ونورق من جديد .